المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

النزعة الإنسانية في قصيدة (والضيف أكرمه) لعبد قيس بن خفاف البرجمي رؤية موضوعية نقدية

Humanism in a poem (And the most honorable guest) by Abd Qais bin Khafaf Al-Burjami A critical objective view

بقلم الدكتورة

فاطمة عيسى الأحول

المدرس بقسم الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ ـ فرع جامعة الأزهر الشريف

العدد الأول (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

النزعة الإنسانية في قصيدة والضيف أكرمه
لعبد قيس بن خفاف البرجمي رؤية موضوعية نقدية

فاطمة عيسى الأحول

قسم الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ ـ جامعة الأزهر .

البريد الإلكتروني : Elahwalfatma@yahoo.com

الملخص

النزعة الإنسانية: هي عبارة عن الاتجاه الفكري الذي يركز على أهمية الإنسان وقيمته في الحياة سواء كان فردًا أو جماعة، وهذا الاتجاه يجتمع فيه كثير من المذاهب الفلسفية والعلمية والأدبية والأخلاقية، ويهتم بالإنسان ويجعله فوق كل شيء.

ولا شك أن الأدب العربي في العصر الجاهلي أدب إنساني من الطراز الفريد، فالنزعة الإنسانية بكافة موضوعاتها متواردة بوضوح بين غالبية الشعراء العرب في تلك الحقبة الجاهلية، ومنها: المحامد ومكارم الأخلاق، وإكرام الضيف، والعفة والطهارة ..... وغيرها ثم جاء الإسلام؛ ليدعم منها ما يتوافق مع منهجه وروحه... .

وبمطالعة دواوين الشعراء في تلك الحقبة، استطعنا من خلال هذه الدرسة كشف الغطاء عن كنز ثمين من المعاني الإنسانية في قصيدة "والضيف أكرمه"، لعبد قيس بن خفاف البرجمي، واعتمدت فيها على المنهج "الفني التحليلي" الذي رصدت من خلاله معالم النزوع الإنساني في القصيدة من الناحيتين الموضوعية من مثل: إكرام الضّيف، وتقوى الله، والوفاء بالنذر، والعفة والإباء، وتطهير النفس من الخبائث، والتخلي عن المثالب.

والنقدية: حيث قمت بعرضها عرضًا نقديًا؛ يكشف عن تميزها واشتمالها على جوانب إبداعية متعددة منها: "التجربة الشعورية، اللغة الشعرية، الصورة الأدبية، الموسيقى الشعرية".

الكلمات المفتاحية: الشعر الجاهلي ، عبد قيس بن خفاف ، والضيف أكرمه ، قصيدة.

Humanism in a poem (And the most honorable guest) by Abd Qais bin Khafaf Al-Burjami A critical objective view

Fatima Issa Khalil Al-Ahwal
Department of Arabic Language, In the College of Islamic and Arab Studies for Girls - Kafr El-Sheikh Al-Azhar University Branch.
Email: Elahwalfatma@yahoo.com

Abstract

Humanism: It is "an intellectual trend that focuses on the importance of the human being and his value in life, whether as an individual or a group. The trend in which many philosophical, scientific, literary, and ethical doctrines come together. The tendency places humans and human values above all else. The tendency that trusts the human being and is optimistic about his potential." It is also the tendency capable of creating civilizational progress.

There is no doubt that Arabic literature in the pre-Islamic era was full of factors and themes of humanism that were clearly evident among the majority of Arab poets in that era, including the praises, noble morals, honoring the guest, chastity, and purity...and others. Then Islam came to advance man in body, thought, and spirit.

Through reviewing collections of pre-Islamic poetry, the study revealed the unveiling of the human tendency in the poem "And the Most Honorable the Guest," in which it relied on the psychoanalytic approach through which it observed the most important human tendencies in the poem from the thematic perspective, such as: honoring the guest, fearing God, fulfilling a vow, Chastity and humility, purifying oneself from impurities, and abandoning vices.

I also presented it with a brief artistic presentation that reveals its distinction and its inclusion of multiple creative aspects, including: "emotional experience, poetic language, literary image, and rhythmic structure."

Keywords: Pre-Islamic poetry , Abd Qais Ibn Khafaf , Akram Al-Dhaif, poem.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وكفي، والصلاة والسلام علي النبي المصطفي، وعلي آله وصحبه أهل الصفا والوفا ومن سار على نهجهم ومن اقتفى إلى يوم لقاء الله رب العالمين .

وبعد

فقد عكس الشاعر الجاهلي في تراثه صورة الحياة اليومية وأحوال الناس وطباعهم وعاداتهم وأخلاقهم وسلوكهم، وظلَّ هذا التّراث الجاهليّ بما حوى من قيم إنسانية وأخلاقية يحظى بمنزلة عظيمة في العصور الإسلامية وما بعدها، فكان الشّاعر الجاهليّ "مُعلّم القبيلة ومُرْشدها"، بحرصه على نشر القيم والمُثُل الإنسانية في ثنايا قصائده، التي شكلت المثاليّةَ والإنسانية، كما يراها المجتمع.

فإذا كان الشعر يمثل قيمة كبرى لدى المجتمع الجاهلي _بصفة عامة_، فإن قيمة هذا البحث تكمن في رصد مجموعة القيم الإنسانية والأخلاقية التي عبر عنها الشاعر الجاهلي "عبد قيس بن خفاف البرجمي" في ثنايا قصيدته "والضيف أكرمه" _ بصفة خاصة_ فالمجتمع في العصر الجاهلي ضم العديد من المصلحين شعراء وخطباء، سعوا بأقوالهم وأفعالهم إلى نشر القيم الإنسانية العليا المتنوعة في نفوس أبناء المجتمع، وأخذوا على عاتقهم الدعوة إلى نحو حياة مثالية؛ ليعكسوا بقصد أو دون قصد الصورة السلبية المأخوذة عن هذا المجتمع، وذلك بعد أن انخفض منسوب القيم في نفوس بعض أبناء المجتمع وكان وما يزال سببًا رئيسًا في معاناة البشرية، فكثيرًا ما اكتوى المجتمع بنيران هؤلاء الذين لم يحافظوا على

القيم الإنسانية والخلقية؛ فكان لزامًا على الشعراء أن يتصدوا في أشعارهم لهذا التردي الأخلاقي شأنهم في ذلك شأن كل مصلح في كل زمان ومكان، وبالبحث والتنقيب في دواوين الشعر الجاهلي آثرت التطبيق على قصيدة واحدة من قصائد هذا العصر؛ حيث احتوى كل بيت فيها على مجموعة من القيم الإنسانية والخلقية، قصيدة " والضيف أكرمه " التي جاءت على هيئة نصيحة ووصية وجهها الشاعر لابنه؛ تعبيرًا له عن حبه وتقديره؛ فأصبحت هذه النزعة معلمًا بارزًا للقيم الأخلاقية التي تنصلح بها الحياة.

وقد حفظت لنا كتب التراث وصايا الأنبياء والعلماء والحكماء والأدباء وغيرهم، وضمت كمًا وفيرًا من هذه النزعات التي تحمل قيمًا إنسانية راقية، وخلد القرآن بعضها؛ وما ذلك إلا لأنها تعد دستورًا في تأسيس المجتمعات، ومن ثم تتضح أهمية هذه الدراسة؛ التي تبرز القيم الإنسانية والخلقية في أهم عصر من عصور الأدب وهو العصر الجاهلي.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي قامت حول الشعر الجاهلي، واهتمام الباحثين في الأدب بهذا الشعر؛ ما زالت هناك جوانب منه في حاجة إلى مزيد من الدراسة، والجهود المثابرة لجمع كنوزه من بين دفات الكتب؛ ولكشف ما يكتنف بعضها من غموض، وتجلية ما يحيط بها من حجب، ومن هذه الجوانب التي تحتاج إلى تلك العناية والدراسة موضوع –القيم الإنسانية، والسلوكية، والأخلاقية – لذا جاء هذا البحث؛ ليرصد أهم القيم الإنسانية في قصيدة (والضيف أكرمه) للشاعر الجاهلي "عبد قيس بن خفاف بالتحليل والنقد" .

وسوف يجيب هذا البحث على العديد من التساؤلات منها : ما مفهوم النزعة الإنسانية؟ ما قيمة هذه النزعة في المجتمع الجاهلي؟ وهل النزعة الإنسانية تشمل القيم الخلقية في المجتمع أم هي التي تعتني بذات الشاعر فقط؟ وهل أدرك شعراؤنا القدامي أبعاد هذه النزعة، وعبروا عنها في أشعارهم؟ وهل هذه القيم اقتصرت على المجتمع الجاهلي أم أنها نالت العناية والاهتمام في العصر الإسلامي وما بعده من عصور؟.... .

وقد طالعتُ الدراسات السابقة حول هذا الموضوع فما وجدت له دراسة أو كتابًا تضمنت شعر الشاعر "عبد قيس بن خفاف البرجمي" من أي ناحية، فكل ما اطلعت عليه – رغم قيمته العلمية- يدور حول نماذج من القيم الأخلاقية عند طائفة من الشعراء الجاهليين يجمعهم سلوك واحد أو ديوان واحد كأصحاب المعلقات والصعاليك .... وغيرهم، كما أنني لم أعثر على دراسة مستقلة للشاعر "عبد قيس بن خفاف البرجمي" ومن هنا جاءت أهمية البحث؛ لتثبت أن هذه القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من إكرام الضيف، وتقوى الله، والعفة والإباء، وتطهير النفس من الخبائث، قد برزت في قصيدة "والضيف أكرمه" للبرجمي " بصورة واضحة؛ لذا استحقت المزيد من العناية بها .

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج (الفني التحليلي)؛ الذي يقوم على استقراء النصوص وتفسيرها وتحليلها، والوقوف على تقنياتها المتنوعة، وتناول الظاهرة من زواياها وجوانبها المتعددة، والتعرف إلى مدى ارتباطها بالشكل والمضمون، كما يساعد في تحليل القصيدة وبيان انعكاس الملامح الفكرية والنفسية للشاعر على ما ينتجه من أشعار، فمن خلاله نستطيع الكشف عن سمات شخصيات الشاعر المتنوعة، بالإضافة إلى

اعتماد هذا المنهج على تذوق الباحث للنصوص ويبحث في القواعد والأصول الفنية للعمل الأدبي، وغير ذلك من المناهج التى أحتاج البحث من الباحثة الاستعانة بها، لتكتمل المعالجة البحثية .

وقد تم تقسيم البحث إلى تمهيد ومبحثين، وخاتمة، وفهارس فنية:

التمهيد ويشتمل على : أولًا : نبــذة عن الشاعــر.

ثانيًا: مفهــوم النزعة الإنسانية.

"المبحث الأول" فكان بعنوان: النزعة الإنسانية في قصيدة "والضيف أكرمه" رؤية موضوعية. تناولت فيه أهم القيم الإنسانية التى وردت في القصيدة بالتحليل والشرح من: إكرام الضّيف، وتقوى الله، والوفاء بالنذر، والعفة والإباء، وتطهير النفس من الرذائل، والتخلي عن المثالب .

وجاء المبحث الثاني بعنوان: "النزعة الإنسانية في قصيدة " والضيف أكرمه "رؤية نقدية" وقمت بعرضها عرضًا فنيًا موجزًا يكشف عن تميزها واشتمالها على جوانب إبداعية متعددة منها: "التجربة الشعورية، اللغة الشعرية، الصورة الأدبية، الموسيقى الشعرية .

ثم جاءت الخاتمة موضحة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يليها الفهارس الفنية التي تحتوي على: ثبت المصادر والمراجع، وثبت المحتويات.

التمهيد

أولًا : نبذة عن الشاعر

ثانياً : مفهوم النزعة الإنسانية

التمهيد

أولًا: نبذة عن الشاعر

تعريفه.

هو عبد قيس بن خفاف البرجمي، (أبو جبيل) من بني عمرو بن حنظلة، من البراجم وهم قوم من بني تميم، كان رجلًا شريفًا وعظيمًا في قومه، وقد كان معاصرًا لحاتم الطائي وللنابغة الذبياني وللنعمان بن المنذر، شاعر تميمي جاهلي فحل، من شعراء المفضليات من البراجم، وهم بطون من أولاد حنظلة بن مالك من تميم [١].

أخباره.

يقول "أبو الفرج الأصبهاني" وأما عبد قيس بن خفاف البرجمي فإني لم أجد له خبرا أذكره إلا ما أخبرني به جعفر بن قدامة قال قرأت في كتاب لأبي عثمان المازني أنه وفد على حاتم الطائى فى دماء تحملها وعجز عن البعض فقال له:" إنه وقعت بينى وبين قومى دماء فتواكلوها، وإنى حملتها فى مالى وأملى، فقدّمت مالى، وكنت فربّ حقّ قضيته، وهم قد كفيته، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمم يومك، ولم أيأس من غدك"[٢] .

---

(١) الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر- أيار/مايو٢٠٠٢ م،ج ٤ ،ص٤٩ .

(٢) ينظر الأغاني : علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ): تحقيق: سمير جابر دار الفكر - بيروت/ الطبعة الثانية ، ج٨ ،ص ٢٥٤ . وينظر: زهر الآداب وثمر الألباب إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)،الناشر: دار الجيل، بيروت، ج٤، ص٩٨٧ بتصرف .

ثم أنشأ يقول:

حملت دمـــــاء للبراجم جمّة	فجئتك لمّـــا أسلمتني البراجم
وقالوا سفاها لم حملت دماءنا	فقلت لهم يكفي الحمالة حاتم
متى آته فيها يقل لي مرحبـــا	وأهلا وسهلا أخطأتك الأشائم
فيحملها عنّي وإن شئت زادنـــي	زيادة من حيزت إليه المكـــارم
يعيش النّدى ما عاش حاتم طيّئ	وإن مات قامت للسخاء مآتم[1]

فقال له حاتم: إني كنت لأحبّ أن يأتيني مثلـك مـن قومـك، وهـذا مرباعي من الغارة على بني تميم فخذه وافرا، فإن وفَّى بالحمالة وإلا أكملتها لك، وهي مائتا بعير سوى نيبها وفصالها، مع أنّي لا أحبّ أن تؤبّس قومـك بأموالهم، فضحك أبو جبيل وقال: لكم ما أخذتم منّا ولنا ما أخذنا منكم، وأيّ بعير دفعته إليّ وليس ذنبه في يد صاحبه فأنت منه بريء. فأخـذها وزاده مائة بعير، وانصرف راجعًا إلى قومه فقال حاتم.

أتاني البُرْجُمِيّ أبو جُبَيْلٍ	لِهَمٍّ في حَمَـالتِه طـويلِ
فقلت له خُذِ المرباعَ منهـا	فإنِّي لستُ أرضَـى بالقليلِ
على حالٍ ولا عوّدتُ نفسي	على عِلاَّتها عِلَلَ البخيـلِ
فخُذْها إنها مائتَا بعيـرٍ	سوى النابِ الرذِيَّة والفصيلِ
ولا مَنٌّ عليك بها فإنِّـي	رأيتُ المَنَّ بُزْرِي بالجميـلِ
فآبَ البُرْجُمِيُّ وما عليـه	مِنَ أعباءِ الحَمـالةِ من قتيلِ
يَجُرّ الذَّيْلَ ينفُض مِذْرَوَيْهِ	خفيفَ الظهر من حملٍ ثقيل[2]

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين : أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الشـنتمري الأندلسي المعروف بالأعلم (المتوفى: ٤٧٦هـ)، ج٢ ، ص٢١٢ .

(٢) ينظر الأغاني : علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ): تحقيق: سمير جابر دار الفكر – بيروت/ الطبعة الثانية ، ج٨ ،ص ٢٥٥.

شعره:

لم تذكر المصادر كثيرًا عن " عبد قيس بن خفاف البرجمي " ولكن ورد في أخباره أنه عاش حتّى طعن في السنّ، وخبر أسرار الحياة وتجاربها ، وكان "عبد قيس بن خفاف" شاعرًا حكيمًا كثير التجارب، ومن أغراض شعره الفخر والمدح والحكمة، وكان يفتخر بالحماسة وبالخلق النبيل ويوصي بهما[١]، شعره ذكره صاحب المفضليات ومن شعره المتداول، قوله في أبيات لولده جبيل:

احذر محل السوء لا تنزل به وإذا نبا بك منزل فتحوَّل [٢]

والقصيدة كاملة ــ محل الدراسة ــ وقصائده الأخرى أوردها "المفضل" في المفضليات [٣]، و"الأصمعي" في الأصمعيات[٤]، و"المستعصمي" في الدر الفريد [٥]، والسيوطي في"شرح شواهد المغنى"[٦]، و"الحسن البصري" في

(١) الموسوعة الحرة يكيبديا https://ar.wikipedia.org/wiki/% تاريخ الزيارة ١٤ /١٠ / ٢٠٢٣م ، بتصرف .

(٢) المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: السادسة،ص٣٨٤ .

(٣) المفضليات ج١،ص٣٨٤ وما بعدها .

(٤) الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ- ٧١٠ ه)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ه – ٢٠١٥ م، ج٢، ص٣١ .

(٥) الأصمعيات: الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (المتوفى: ٢١٦هـ) المحقق: احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون: دار المعارف – مصر ، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م، ص٢٩٩ .

(٦) شرح شواهد المغني: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ ه) علق حواشيه: أحمد ظافر كوجان الناشر: لجنة التراث العربي، الطبعة: بدون، ١٣٨٦ه – ١٩٦٦ م ، ص٢٧٢ .

الحماسة البصرية[١]..، وغير ذلك من مصادر الشعر الجاهلى، وقد اختـــرت "والضيف أكرمه" بصفة خاصة؛ لنفاستها وما تحتويه على قيم إنسانية تغنى بها العربي وافتخر بها من قديم الأزل، وحث عليها الإسلام وأمرنا بالحفـــاظ عليها، وسوف أقوم بتوضيح ذلك فيما يأتي – إن أذن الله تعالى –.

ثانياً : مفهـوم النزعـة الإنسانيـة

النزعة الإنسانية: "عبارة عن الاتجاه الفكري الذي يركز على أهميـــة الإنسان وقيمته في الحياة سواء كان فردًا أو جماعة، وهذا الاتجاه يجتمـــع فيه كثير من المذاهب الفلسفية والعلمية والأدبية والأخلاقية، ويهتم بالإنسان ويجعله فوق كل شيء" [٢].

" فالنزعة الإنسانية، هي تحقيق للمباديء الدينية التـــى تطلـــب مـــن الإنسان التحلى بالفضائل من الخير والحق والعدل والرحمة، كما أنها تعبيـــر عن أزمة الإنسان المعاصرة وتصوير أحاسيسه وأفكاره وتطلعاتـــه، وهـــي تهتم بإبراز جانبين: المظلم والمضيء في حياة البشر؛ فليست الحياة جهمة كلها، وإنما تضمن إلى جانب الجهامة صورًا من الإشراق والإضاءة، ونفس الشاعر التى تتسع لاستيعاب كل ألوان الحياة ينبغـــي أن تهزهـــا الأشـــكال المشرقة كما تستوقفها الصور الجهمة " [٣].

---

(١) الحماسة البصرية: علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبـــو الحســـن البصـــري (المتوفى: ٦٥٩هـ) المحقق: مختار الدين أحمد الناشر: عالم الكتب – بيروت،ج٢، ص١٦ .

(٢) النزعة الإنسانية وأبعادها في الأدب العربي د. إنعام الآزاد ، أستاذ مساعد اللغـــة العربيـــة وآدابها، قسم دراسات اللغات الأجنبية، جامعة كرناتاكا المركزية، الهند ، عبر الرابط التالي https://hilalalhind.com/ ، تمت الزيارة بتاريخ ٩/٢ /٢٠٢٣م .

(٣) النزعة الإنسانية في شعر عبدالله الرشيد، د/ماهر فؤاد الجبالي، الأستاذ المساعد في كلية الدراسات الإسلامية العربية، جامعة الأزهر، مجلة قطاع كليـــات اللغـــة العربيـــة والشـــعب المناظرة لها، العدد (١٤)، ص٢٢٣٢ .

وعرفها "مجدي وهبه" بقوله" الميل إلى حب الإنسانية، واعتبار الخير العام للإنسان الهدف الأسمى" [١] .

ولا شك في أن الأدب العربي في العصر الجاهلي كان يزخر بعوامل النزعة الإنسانية وموضوعاتها بوضوح عند غالبية الشعراء العرب في تلك الحقبة ومنها المحامد ومكارم الأخلاق، وإكرام الضيف، والعفة والطهارة..... وغيرها ثم جاء الإسلام لينهض بالإنسان جسدًا وفكرًا وروحًا، وكل ما ظهر في العصور اللاحقة من تيارات أو اتجاهات كالتصوف وفكر الاعتزال وغيرهما كان له نصيب في كثير من جوانبه في قضايا الإنسان مادة وجوهرًا، وما وصل إلينا من الشعر الجاهلي نجد فيه مادة وفيرة تدور حول مفهوم الإنسانية بشكل مباشر أو غير مباشر، ومن ذلك مثلاً الوقوف عند ظاهرة "الكرم" الذي يرفع من شأن صاحبه؛ لذا كانت العرب تتبارى في إظهاره[٢] فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد "لبيد بن ربيعة" يتحدث عن الكرم فيقول .

فَضلًا وَذو كَرَمٍ يُعينُ عَلى النَّدى سَمحٌ كَسوبُ رَغائِبٍ غَنّامُها

لا يَطبَعُونَ، ولا يَبُورُ فِعَالُهُمْ، إذْ لاَ تَميلُ معَ الهَوَى أَحْلاَمُهَا[٣]

يقول الشاعر في فضل الكرم: إن الإنسان الكريم الذي يعين أصحابه على الكرم والجود، أي يعطيهم ما يطلبون، جواد يكسب رغائب المعالي ويغتنمها لا يتدنس عرضه بعارٍ ولا يفسد فعله؛ إذ لا يميل عقله مع الأهواء.

---

(١) معجم المصطلحات العربية، في اللغة والأدب ،د/مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م،ص٤٠٥.

(٢) النزعة الإنسانية وأبعادها في الأدب العربي د. إنعام الآزاد، عبر الرابط التالي https://hilalalhind.com/ ، تمت الزيارة بتاريخ ٩/٢ /٢٠٢٣م بتصرف..

(٣) شرح المعلقات السبع: حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (المتوفى: ٤٨٦هـ): دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م، ص٢٠٠ .

ويدعو "أُميّةُ بْنُ أبي الصّلْت" أَبناءه وأبناء مجتمعه إلى تطهير الـنّفس من الشر والسوء، وينْهاهم عن خلط الخبيث بالطيّب ويخاطبهم قائلًا:

لا تخلطَنَّ خبيثاتٍ بطيّبةٍ وَاخْلَعْ ثيابك منها وَانْجُ عُرْيانا[1]

كما نلحظ أن النزوع الإنساني لايقتصر على عصر دون آخر، بل نجد استمراره خلال العصور الإسلامية المختلفة في مجال الأدب عامة، وقد تطورت واكتسبت إضافات جديدة من القيم والتعاليم المستقاه من الإسلام؛ لما لها من قيمة ومكانة أدبية وأخلاقية عالية .

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ج٩، ص٣٠٠ .

المبحث الأول

النزعة الإنسانية في قصيدة

"والضيف أكرمه" "رؤية موضوعية"

المبحث الأول النزعة الإنسانية في قصيدة " والضيف أكرمه" " رؤية موضوعية "

يمثل الشعر المعبر عن الإنسانية صورة من صور الوعي في المجتمع الجاهلي التى عكسها الشاعر، فكان عنصرًا فعالاً؛ حيث قدم من خلالها تجارب حيَّة لها قيمتها في إرساء وتأصيل القيم في المجتمع الجاهلي، التي اختلفت إيجابًا وسلبًا حسب تقاليد وأعراف القبيلة، فنال بها الشاعر مكانة عالية داخل القبيلة وخارجها، وتعد قصيدته (والضيف أكرمه) صورة فريدة رسم الشاعر "عَبْدُ قيس بن خُفاف البُرجميّ"، من خلالها أجل القيم الإنسانية وأبرزها في هذا المجتمع، علَّم بها ولده جُبَيْلا صفات الخلق العربي الأصيل وتجربته الشخصية الواعية والصادقة التي تحمل في ثناياها قيمًا إنسانية راقية فيقول بادئًا قصيدته:

أَجُبَيْلُ إِنَّ أَبَاكَ كَارِبُ يَوْمِهِ ... فَإِذَا دُعِيْتَ إِلَى العِظَامِ فَأَعْجِلِ

أُوصِيكَ إِيصَاءَ امرئ لكَ ناصحٍ ... طَبِنٍ بِرَيْبِ الدَّهْرِ غيرِ مُغفَّلِ[1]

فيوصي عبد قيس بن خُفاف البُرجميّ ابنه جُبَيْلا بالحفاظ على عدة قيم إنسانية وأخلاقية استقاها من تجاربه الحياتيه بعد أن عاش طويلًا شريفًا، عظيمًا في قومه، وقد تقدمت به السن، وأراد أن يقدم لابنه خلاصة تجاربه، وموجز نصائحه، ويطلب منه أن يعجل بفعل الأمور العظيمة التي ترفع من شأنه بين قومه وعشيرته، فيوصيه وصايا تحمل بين طياتها النصح من خبير بأمور الحياة، عركته الحياة، واختبرت قدراته؛ فكان هو الحكيم الذي استقى تجاربه من هذا العراك، وأراد أن ينقل تجربته إلى ابنه .

(١) المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: السادسة،ص ٣٨٤ .

وكان من أبرز هذه القيم الإنسانية التي أوصى بها ابنه (إكرام الضّيف) هذه القيمة السامية التى تبناها الإسلام، وحث عليها نبينا الكريم-عليه الصلاة والسّلام – فقال : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»، قَالُوا: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ. وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ »(١).

فتمام الضيافة التطلّق وطيب الحديث، وإكرام الضيف تلقّيه بطلاقة الوجه وتعجيل قراه والقيام بنفسه في خدمته، وقد جاء في رواية " أنّ الله تعالى أوحى إلى إبراهيم -عليه السّلام-: أكرم أضيافك، فأعدّ لكل منهم شاة مشويّة، فأوحى الله إليه: أكرم، فجعله ثورًا، فأوحى إليه: أكرم، فجعله جملًا، فأوحى إليه: أكرم، فتحيّر وعلم أن إكرام الضيف ليس في كثرة الطعام، فخدمهم بنفسه، فأوحى إليه: الآن قد أكرمت الضيف، نزل الشافعيّ بمالك فصبّ بنفسه الماء على يديه وقال: لا يرعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض" (٢).

فيوصي "عبد قيس بن خُفاف البُرجميّ" ابنه جُبَيْلا بإكرام ضيفه فيقول:

وَالضَّيْفُ أَكْرِمْهُ فَإِنَّ مَبِيْتَهُ حَقٌّ وَلَا تَكُ لَعْنَةً لِلنُّزَّلِ

وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ مُخبِرِ أَهْلِهِ بِمَبِيْتِ لَيْلَتِهِ وَإِنْ لَمْ يُسْأَلِ(٣)

---

(١) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ت: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي – بيروت،ج٣ ،ص١٣٥٢ .

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار: محيي الدين محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، (المتوفى: ٩٤٠هـ): دار القلم العربي، حلب الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ، ج١ ،ص٢٧٨ بتصرف.

(٣) المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: السادسة،ص٣٨٤ .

وهذه القصيدة من أولها إلى نهايتها صورة رسمها الشاعر لابنه جبيل أطَّر خلالها خلق العربي الأصيل، وبث فيها تجاربه وحكمته؛ فأصبحت سجلًا للقيم الإنسانية والأخلاقية عند العرب.

فنرى أن الشاعر في الأبيات السابقة قد بلغ من الكبر عتيا، وقد شارف على الموت، فيأمر ابنه بأن يكرم ضيفه ولا يبخل عليه ولا يتهاون في حقه، ولا يجوز التّفريط فيه ولا التّهاون؛ لأنّ التقصير في حقّ الضيف يُلحق به لعنة مدى الحياة، كما أن الضّيف يُشيع هذه الأخبار بين أهله وأبناء مجتمعه، فيشتهر الكريم بين مجتمعه بهذه الصفة التي يفتخر بها طوال حياته، وتحط من شأن البخيل وتلحق به العار بين قومه ومجتمعه .

كما نراه يؤكد خبرته في الحياة وتجاربه التى تلزم ابنه بأن ينفذ وصيته مستخدمًا صيغ التأكيد (إنَّ أباك، إنَّ مبيته، إنَّ الضيف....) كلها مؤكدات تؤكد أهمية هذه القيمة الإنسانية (إكرام الضيف)، كما أنها تعمل على ترغيب الابن في تنفيذ وصية والده.

ومن القيم الإنسانية السامية الموروثة عن المجتمع العربي **(تقوى الله والوفاء بالنذر)** فكان الموحّدون يشكّلون قاعدة الانطلاق، التي أَخذتْ على عاتقها مسؤولية الاستعداد الفكريّ لتقبّل الحدث العظيم، واستقبال الرّسالة الإسلاميّ، ويحدّثنا ابن هشام عن طائفة من هؤلاء الموحّدين، الذين كانوا ينتشرون في مكّةَ وأنحاءٍ أُخرى من الجزيرة وقد انطبعتْ في أَذهانهم فكرةُ عبادة الإله الواحد، فكانوا يسخرون من الأصنام وعبادتها، ويترفّعون عن تقديسها. (١).

(١) "سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)"، ابن هشام، راجع أُصولها وضبط غريبها، الشيخ محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والتوزيع، د.ت.ج١،ص٢٢٢ .وينظر : وصايا الآباء في الشّعر الجاهليّ والإسلامي ، د.فتحي إبراهيم خضر، جامعة النّجاح الوطنيّة، قسم اللغة العربيّة ص ٥ بتصرف .

وهذه القيمة الأخلاقية تبناها الإسلام وحث عليها نبينا الكريم- عليه الصلاة والسّلام -فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلا يَعْصِهِ"[١] النذر هو إلزام العبد نفسه طاعة لله تعالى، وهذا الحديث شامل للطاعات كلها، فمن نذر طاعة واجبة ومستحبة وجب عليه الوفاء بالنذر، وليس عنه كفارة، بل يتعين الوفاء، كما أمره النبي -صلّى الله عليه وسلم- في هذا الحديث، وكما أثنى الله على الموفين بنذرهم في قوله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ}[٢]، أي: بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وهذه القيمة الإنسانية لم يتركها الشاعر حتى يُلْزِم بها ابنه وأبناء مجتمعه؛ لما لها من مكانة سامية رفيعة تساعد على رفعة المجتمع والفرد، " فتقوى الله والوفاء بالنذر"؛ هما المعيار الأخلاقيّ والإنساني الرفيع، الذي يجعل المرءَ يشعر بالسّعادة والرضا فيقول:

أُوصِيكَ إِيصَاءَ امرئ لكَ ناصِحٍ ... طَبِنٍ[٣] بِرَيْبِ الدَّهْرِ غيرِ مُغفَّلِ

اللهَ فاتّقِهِ وأَوْفِ بنذرِهِ ... وإذا حَلَفْتَ مُمَاريا فتحلّلِ[٤]

---

(١) "صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، ج٨ ،ص١٤٢ .

(٢) " سورة الإنسان آية (٩) .

(٣) طبن : فَطِنٌ حاذِقٌ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْ. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى:٧١١هـ): دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة١٤١٤هـ، ج١٣ ص٢٦٣ .

(٤) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

فيوصي الشاعر ولده، بتقوى الله والوفاء بالنذر، وألا يحلف كذبا، وإذا حلف فليحلل يمينه، فإن تعذر عليه الوفاء بنذره سقط عنه، ولزمته كفارة يمين؛ " وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاؤُنَا عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ: إنْ دَخَلْت الدَّارَ فَعَلَيَّ كَفَّارَةُ يَمِينٍ، أَنَّهُ يَلْزَمُهُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ مِنْ جِهَةِ النَّذْرِ لَا مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ، وَالنَّذْرُ يَمِينٌ حَقِيقَةً"(١)، وَلِأَجْلِهِ قَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ» (٢) .

أما كونه يتحلل من نذره ويكفر عنه بمجرد صعوبة يجدها في الوفاء به، ولا تعذر ولا استحالة فلا يجوز، وهو من التهاون بما أوجب الله وتعدٍّ لحدود الله، وهذه الوصايا من تعاليم الإسلام الحنيف، كما أنها تدل على خبرة الشاعر بالدهر وما يحدث .

ومن القيم الإنسانية التي أكدها الشاعر في قصيدته:(**التخلي عن المثالب**)، فيوصي الشاعر ولده جبيلًا بأن يتغاضى عن المثالب من الأهل والأصدقاء والأقارب وغيرهم، التي تؤرقه وتكدر عليه عيشه حتى لا يصاب باللؤم والحقد من الأعداء، وأن يصل من يلمح فيه الود والقرب والصفاء والطهر، ويحذره من الخائن الذي يتلون ويتبدل ويتغير بتغير الأحوال والظروف ويظهر له وجهًا مزيفًا يحمل الحب له والخوف عليه، ويخفي

(١) أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣ م ، ج٢ ص١٤٩ .

(٢) صحيح مسلم ، مسلم النيسابوري (،حديث رقم ١٦٤٥) ، باب فِي كَفَّارَةِ النَّذْرِ، ج٣ ص١٢٦٥ .

وجوه الشر التي تضمر له الكراهية والخيانة ويتمنى له المذلة والمهانة فيقول:

ودَعِ القَوَارِصَ[١] للصَّدِيقِ وغيرِهِ كَيْ لاَ يَرَوْكَ من اللِّئام العُزَّلِ

وصِلِ المُوَاصِلَ ما صَفَا لكَ وُدُّهُ واحْذَرْ حِبالَ الخائنِ المُتَبَدِّلِ[٢]

ويوصي الشاعر ولده بتطهير النّفس من النوازع الشرّيرة، وينْهاه عن خلط الخبيث بالطيّب، ويأمره أن يترك السوء والشر ويلجأ إلى فعل الخيرات دائمًا، فدار الهوان والذل إذا رآها قريبة منه واستحسنها أصبحت داره، لكن إذا فهم ما بها من ذُلّ وهوان سيشعر بالخطر وسيرحل على الفور، فمن فهم الأمر ورحل سينجو ولا يتساوى بمن لم يرحل، فيقول:

واتْرُكْ مَحَلَّ السَّوْءِ لا تَحْلُلْ بتتته وإذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ

دارُ الهَوَانِ لِمَنْ رَآها دَارُهُ أَفَرَاحِلٌ عنها كَمَنْ لم يَرْحَلِ

وإذا هممتَ بأَمرِ شَرٍّ فاتَّئِدْ وإذا هممت بأمر خيرٍ فافْعَلِ[٣]

وقد يُنَازع الإنسان موقفان: أحدهما يدعوه إلى مقابلة الشرّ بالشرّ، والآخر يدعوه إلى الصّفح الجميل[٤]، فيأسرنا عبد قيس بن خُفاف البُرجميّ بهذه القيم الإنسانيّة الرائعة والوصايا الأخلاقية في العصر الجاهلي، ونلحظ في هذه الوصايا ما يدل على عناية الآباء بالأبناء ومساعدتهم بالرأي في ظروف الحياة الاجتماعية، أضف إلى ذلك رسم صورة واقعية وتجارب حية

(١) القوارص: المثالب، والقَوَارِصُ من الكَلامِ: هيَ الَّتِي تُنَغِّصُك وتُؤْلِمُك، تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى:١٢٠٥هـ) ، تحقيق: مجموعة من المحققين: دار الهداية ، ج: ١٨ ،ص٨٨ .

(٢) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

(٤) وصايا الآباء في الشّعر الجاهليّ والإسلامي، د.فتحي إبراهيم خضر، جامعة النّجاح الوطنيّة، قسم اللغة العربيّة، مجلة الآداب، ص١٧.

لحياة الجاهلي في العصر القديم التي يتسم بعضها بمكارم الأخلاق وبعضها يبقى رهين ذلك الزمن بما فيه من عادات أو وجوه اختلاف.

ولك أن تطالع هنا هذا الملمح الجميل في هذه الوصية حينما يهمّ الإنسان بفعل الخير فلا يجد في نفسه عائقًا يمنعه عنه، إذا كان من أصحاب النفوس المستقيمة التى تسعى إلى الخير وترفض النقيصة .

كما أن هذه النفس حينما يعرض لها شيئًا من الآفات الأخلاقية تترفع عنه، وتأبى الضيم الذي يلحقها جراء فعله، والشاعر يوصي ولده إذا عرض عليه أمر من أمور الشر أن يراجع نفسه، ويعاود التفكير قبل القدوم على فعل أمر يشينه أو يتردى بأخلاقه.

ومن القيم الإنسانية والأخلاقية التي حملتها هذه القصيدة (**العفة والإباء والحلم**) فعفة النفس تورث في الإنسان الحلم والرفق ولين الجانب، ولو طلب الإنسان نوال الآخرين فلا ينبغي له أن يتساقط أمامهم ذلة ومهانة، ولكن ينال مبتغاه بالترفع والتعفف، فالعفة خُلُقٌ إسلاميّ رفيع يشمل الكفّ عن السؤال حفاظًا على ماء الوجه، والاستغناء عمّا في أيدي الناس، وعفة النفس تعني الابتعاد عن الشهوات والملذّات وطهارة النفس وتزكيتها من أهوائها فها هو ذا شاعرنا يوصي ابنه بالاستغناء والتعفف والإباء والحلم فيقول:

واسْتَغْنِ ما أَغْناكَ رَبُّكَ بالغِنَى ... وإِذَا تُصِبْكَ خَصاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

واسْتَأَنِ حِلْمَكَ في أُمورِكَ كُلِّها ... وإِذا عَزَمْتَ علي الهَوَى فَتَوكَّلِ

وإِذا تَشَاجَرَ في فُؤَادِكَ مَرَّةً ... أَمْرَانِ فاعْمِدْ لِلأَعَفِّ الأَجْمَلِ[1]

(١) المفضليات ،ج١، ص٣٨٤ .

إن العِزّة والإباء والكرامة والعفة من أبرز الخِلَال التي نادى بها الإسلام، وتعهّد نماءها بما شرع من عقائد، وسنّ من تعاليم، وهي التي ترتبط بالله تعالى ورسوله-صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [(١)]، ويقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ..... » [(٢)]. فهذه القيمة الإنسانية حث عليها الإسلام وأمرنا بالتمسك بها، وفي ذلك دلالة على مكانة الشعر الجاهلي، وأن ما جاء من قيم تناسب تعاليم الإسلام لم يتنكر إليها ديننا، بل دعا إليها.

كما نراه يوصي ابنه (**بالشجاعة والتصدي للعدو**) فعلى الإنسان أن يجابه الأعتداء والظلم، ولا يترك نفسه فريسة لعدو غاشم يريد أن يسلبه حقه، ويتعدى على حرمانه؛ فالإنسان إذا فرَّط فى حقه سيصبح فريسة لهؤلاء الذين لا يرعون حقوق الناس، فيقول:

وإذا أَتَتْكَ من العَدُوِّ قَوارِصٌ فاقْرُصْ كذاكَ وَلا تَقُلْ لم أَفْعَلِ

وإذا لقِيتَ القومَ فاضرِبْ فيهمُ حتَّى يَرَوْكَ طِلاءَ أَجْرَبَ مُهْمَل [(٣)]

وهذا ما نص عليه ابن العربي حيث قال:" إذا كنا نمتلك القدرة على الرد فمقام الرد بالمثل[(١)]، امتثالًا لقول الله -تعالى-" فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ"[(٢)] .

---

(١) سورة المنافقون آية رقم ٨ .

(٢) صحيح البخاري ،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، حديث رقم (١٤٦٩) باب (الإستعفاف عن المسألة) ج٢، ص١٢٢ .

(٣) المفضليات ، ج١ ، ص٣٨٥ .

ويتضح لنا بعد هذ العرض لبعض اللمحات الإنسانية التي لمسناها في قصيدة (والضيف أكرمه) أنها قائمة على صورة كاملة توضح معالم المجتمع الجاهلي والأخلاق العالية التي كانوا يتمتعون بها من مثل: الصدق والوفاء، والكرم، وتقوى الله، وعزة النفس، والعفة والإباء، وتطهير النفس من الخبائث.... وغيرها من القيم التي تضمنتها القصيدة التي أوصي الشاعر ولده بالالتزام بها والحفاظ عليها .

ومن الجدير بالذكر: أنه جعل هذه الوصايا آخِر ما قدّمه لابنه وأبناء مجتمعه في نهاية حياته؛ ليحيا ذكره بين أقرانه بهذه الصفات الإنسانية، والمكارم الأخلاقية وذلك بعد أن عرك الحياة فخبر أسرارها وعاشها بكلّ ما فيها من سعادة وشقاء، وفرح وحزن، وحب وكره، وصدق وكذب، وكرم وبخل، أي أن قصيدته جاءت لتحمل خبرات سنين مضت تحمل بين طياتها مبادئ وأخلاق من الحياة الجاهلية، وليس من العجيب أن تلتقي هذه القيم الأخلاقية في الجاهلية مع تعاليم الدين الحنيف فقد أرسل الله عز وجل رسولنا الكريم ــ ﷺ ــ مكملًا ومتممًا لمكارم الأخلاق كما قال ــ ﷺ ــ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»[٣] ".

ومن هنا ازدادت أهمية القيم الإنسانية والأخلاقية؛ كونها أصبحت ميزانًا تُقيَّم بها الشعوب والأمم، وتعرف من خلال ممارستها تلك الأخلاق

---

(١) الأساس في التفسير: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) الناشر: دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ ، ج١ ، ص٤٤٩ بتصرف .

(٢) سورة البقرة، آيه رقم (١٩٤).

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) تحقيق: حسام الدين القدسي : مكتبة القدسي، القاهرة : ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م ، باب (في حسن خلقه وحيائه) ، ج٩، ص١٥ .

ومكانتها فكانت ضمن أهم أهداف رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم –؛ لأن القيم الإنسانية والخلقية إذا فسدت كانت سببًا من أسباب الفساد والإفساد بين الأمم، وإذا صلحت كانت سببًا في الصلاح والإصلاح بينها[١].

وصدق أمير الشعراء " أحمد شوقي" حين قال:

إنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت فإنْ هم ذهبتْ أخلاقهم ذَهبوا[٢]

(١) الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديمًا وحديثًا، محمد منصور أبو راس، رسالة: دكتوراه، قسم القرآن والحديث – أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملايا ماليزيا: ١٤٣١هـ – ٢٠١١ م، ج١، ص ٢٧٣ بتصرف .

(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال : القاضي/حسين بن محمد المهدي–وزارة الثقافة، دار الكتاب رقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م راجعه: عبد الحميد محمد المهدي، ص٦٨٨ ، وهذا البيت غير موجود بالديوان .

المبحث الثاني

لمحات إنسانية في قصيدة "والضيف أكرمه"

"رؤية نقدية"

المحـور الأول

التجـربة الشعـورية

"التجربة الشعورية" في اصطلاح النقد الحـديث:" الصـورة الكاملـة النفسية، أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر مـن الأمـور تفكيرًا ينم عن عميق شعوره وإحساسه، وفيها يرجع الشاعر إلـى اقتنـاع ذاتي وإخلاص فني، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول ليعبث بالحقائق، بل إنه ليغذي شاعريته ويشف عن جمال الطبيعة والنفس"[١]، ويتفاعل معها الشاعر بمشاعره وأحاسيسه حتى لو كانت تجربة متخيلة، لو تأملنا التجربة الشعورية لقصيدتنا؛ لتبين لنا أنها ناطقة بألفاظها عن أصالة العنصر النفسي في مرحلة التأثير الدافعي للإبداع الأدبي.

فالعمل الأدبي ذو شقين: شق نفسي، يتمثل في التجربـة الشـعورية، وهي العنصر الذي يدفع إلى التعبير والصياغة، لكنها بذاتها ليست هي العمل الأدبي؛ لأنها مضمرة في النفس، لم تظهر في صورة لفظية معينة في تلـك المرحلة، وإنما هي مجرد إحساس وانفعال، لا يتحقق العمل الأدبي إلا بـه، هذا هو الشق الأول من شقي الأدب.

أما الشق الثاني: فلفظي، يتحقق عندما يتحول هـذا الانفعـال وذلـك الإحساس إلى قالب لفظي، أو صورة لفظية ذات دلالات مختلفة[٢].

---

(١) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعـة والنشـر ١٩٩٧م، ص ٣٦٣.

(٢) أصول البحث الأدبي ومصادره ، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية: جامعة المدينـة العالمية ، ص١٣٦.

وإذا كانت التجربة الشعورية هي مادة العمل الأدبي–وهذه حقيقة لا مراء فيها فإنها لا تصبح محل بحث إلا حين تأخذ صورتها اللفظية؛ لأنها قبل ذلك تكون كامنة في نفس الأديب.

وللتجربة الشعورية والانفعال أثرهما الجلي في قصيدة الشاعر "عبد قيس بن خفاف" "والضيف أكرمه"، التي جاءت تعبيرًا عن القيم الإنسانية والخلقية التي يفتخر بها العربي في المجتمع الجاهلي، فعبرت تعبيرًا صادقًا عما يدور داخل هذا المجتمع عامة وفي نفس الشاعر خاصة ويتضح ذلك في قوله :

أُوصِيكَ إِيصَاءَ امرئ لكَ ناصِحٍ طَبِنٍ بِرَيْبِ الدَّهْرِ غيرِ مُغفَّلِ[1]

فكان لأهل الجاهلية اهتمام بالغ في إكرام الضيف يمدحونه ويرفعون من شأنه، وكانوا يذمون البخل ويحطون من شأنه، فالشاعر عبر تعبيرًا دقيقًا وصادقًا عن هدفه الذي يرنوا إليه، فجاء عنوان قصيدته "والضيف أكرمه"، صدى لتصوير أحاسيسه ومشاعره، وتجسيدًا لمبادئ مجتمعه؛ لذا فجَّر في نفسه تلك التجربة الشعورية المليئة بالنصح والإرشاد .

وتعد القصيدة تعبيرًا عن رؤية الشاعر الذاتية والانفعالية فضلًا عن كونها تجربة إنسانية عميقة، ونلحظ من مطلع القصيدة وقبل ذلك من عنوانها؛ أن الشاعر جعل تجربته التى هي في الأصل ذاتية تتحول من الذاتية إلى الموضوعية، أو تجمع بين الذاتية والموضوعية؛ حيث إن الخطاب فيها انتقل من مجرد نصح والد لولده، إلى نصيحة عامة فيها تجربة إنسان خبر الحياة وخبر دروبها، ويحاول نقل هذه الخبرة إلى جموع البشر وليس إلى ولده فحسب، ربما يتضح لنا هنا أثر التجارب الأدبية الصادقة في

(١) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

كونها تتحول من تجربة يهدف فيها الشاعر إلى رسم صورة من الكمال الفردي، فإذا بعمله بقصد أو دون قصد يتحول إلى رسم صورة من الكمال الجمعي.

ونلحظ في عنان القصيدة أن الشاعر خاطب المتلقي خطابًا مؤثرًا جعله شريكًا معه في تذوق القصيدة والانفعال بها، وتعد هذه القصيدة من الشعر الذاتي الذي يكوّن علاقة مباشرة بين أطراف ثلاثة (التجربة الإنسانية، الرؤية الذاتية للشاعر، المتلقي)، فالشاعر في قصيدته لم يخاطب ابنه فقط ولكن هذه القيم كانت وصايا لجميع الأبناء وإن كان الخطاب موجهًا فيها لولده فيقول:

وإذا أَتَتْكَ من العَدُوِّ قَوارِصٌ فاقْرُصْ كذاكَ ولا تَقُلْ لم أَفْعَلِ
وإذا افْتَقَرْتَ فلاَ تَكُنْ مُتَخشِّعا تَرْجُو الفَواضِلَ عندَ غيرِ المُفْضِلِ
وإذا لَقِيتَ القومَ فاضرِبْ فيهمُ حتَّى يَرَوْكَ طِلاءَ أَجْرَبَ مُهْمَلِ(١)

فهذه الوصايا والنصائح تدل على خبرة الشاعر وتجربته العميقة في الحياة، وهو يمنح ابنه جبيلًا خبرته وتجربته التي اكتسبها طوال حياته .

وأقول: إن فكرة هذه القصيدة، فكرة إنسانية أخلاقية، عبرت عن تجارب حياة الشاعر، وحياة غيره من المجتمع، وهي جلية واضحة، قضيتها حاسمة، وصلتها بالبيئة وثيقة ملائمة، فتقوم تلك العاطفة الصادقة على فكرة قيمة صحيحة، لتصبح مرآة صادقة للعصر والمجتمع الذي عاش فيه الشاعر .

ونحن نعلم أن العمل الأدبي لو تميز بالعاطفة الصادقة استقر في الوجدان وألفته العقول؛ لأنها من أهم عناصر التجربة الشعورية، وهي تلك

(١) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

القوة التي يثيرها الشاعر في عمله الفني وتقف إزاء العقل جنبًا إلى جنب، وتمتزج بألوان الفكر، وعلى ذلك فلا يستطيع الشاعر أن يثير مشاعر الآخرين، إلا بالتجربة الشعورية الصادقة .

ونلمس صدق العاطفة في قول الشاعر:

أُوصِيكَ إِيصَاءَ امرئ لكَ ناصِحٍ طَبِنٍ بِرَيْبِ الدَّهْرِ غيرِ مُغفَّلِ

اللهَ فاتّقِهِ وأَوْفِ بنذرِهِ وإذا حَلَفْتَ مُماريًا فتحلّلِ [1]

فهذان البيتان يحملان عاطفة جياشة بالصدق والنصح الذي يتمني الشاعر أن يعم قبيلته بل عصره ولم يقتصر على ولده فقط، وكيف لا ؟ وهذا الشاعر قد عاش طويلًا وذاق قسوة الأيام ومرارتها، ولا مجال للزيف وهو يصارع الموت، فمن المشكوك فيه أن يستطيع الأديب عرض العواطف القوية أو بعثها في نفوس قرائه دون أن يحسها في نفسه قوية، ثم ينفس عنها بهذا الأدب القوي المؤثر« فالشاعر لا يبكيك إلا إذا استنفد ماء شئونه، ولا يشجيك إلا إذا استطار الهوى بلبه، والعامل الفذ للظفر بالسلطان العاطفي على القراء: هو انفعال الشاعر عن نفس منفعلة قوية الشعور» [2] .

وقد قيل: «إن الكلام إذا خرج من القلب وصل إلى القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان ...» [3] .

وعلى الرغم من قلة عدد أبيات هذه القصيدة إلا أنها تحمل عمرًا طويلًا عاشه الشاعر، فكل لفظة فيها تحمل فكره وكل فكرة تحمل مرحلة عمرية من حياته؛ لذا حرص على نشرها والاستفادة منها فيقول:

---

(١) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

(٢) ينظر أصول النقد الأدبي د/أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة العاشرة – ١٩٩٤ م ص١٨١ بتصرف .

(٣) المرجع السابق ص ١٩١ بتصرف .

وأعلمْ بأَنَّ الضيفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ بِمَبِيتِ لَيلتِهِ وإِنْ لم يُسْأَلِ[١]

فهذا البيت تنبيه لما يحدث لو لم يلتزم ولده بوصاياه، فمن تجربته الذاتية التي مر بها وجد أن الضيف يخبر الجميع عما حدث معه دون أن يسأله أحد، وهذا الأمر إما أن يرفع من شأن المضيف، أو يحط من قيمته.

ومما سبق يتضح لنا أن هذه القصيدة تحمل عاطفة صادقة نابعة من ذات الشاعر، ومما يلفت النظر إلى هذه العاطفة أنها تنبض بالقوة، والثبات، والحرص الشديد على إيصالها لابنه أولًا، والمتلقي ثانيًا، وتلك العاطفة الصادقة القوية نراها بنفس الدرجة والثبات والتأثير لم تفتر ولم تضعف، بل تظل محتفظة بقوتها وثباتها من بداية القصيدة إلى نهايتها وهو المقصود بثبات العاطفة، وهو «استمرار سلطانها على نفس المنشئ مادام يشعر أو يكتب ... لتبقى القوة شائعة في أجزاء العمل الأدبي كله، لا تذهب حرارتها، وبهذا يشعر القارئ أو السامع ببقاء المستوى العاطفي على روعته مهما اختلفت درجته باختلاف الفقرات والأبيات»[٢]، فنجد قوة عاطفة الشاعر وثباتها من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت فيها ففي قوله:

أَجُبَيْلُ إِنَّ أَباكَ كارِبَ يَوْمِهُ فإِذَا دُعِيتَ إِلى العَظَائِمِ فاعْجَلِ[٣]

فنلحظ أن دعوة الشاعر لولده في هذا البيت تحمل الإحساس بالصدق، وقوة العاطفة، والتأكيد على مقصده؛ لذا نراه استخدم "إن" التى تفيد التأكيد، واستعمل فعل الأمر الذي ينقل الحالة الإنفعالية للشاعر، كما أن في "تكراره

(١) أصول النقد الأدبي د/أحمد الشايب – ١٩٩٤ م ص١٨١ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٧ بتصرف .

(٣) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

"لفاء الجزاء" الذي يشير إلى بنيية القصيدة ويسهم في بيان علاقة السبب والنتيجة"[١] .

وتستمر عاطفة الشاعر في ثباتها الإنفعالى حتى آخر بيت في القصيدة فيقول:

وإذا لَقيتَ الباهشين إلى النَّدَى غُبْـــرًا أَكُفُّهُمُ بِقـاعٍ مُمْحِلِ

فَأَعِنْهُمُ وأيْسِرْ بِما يَسَـــرُوا بهِ وإذا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فانْزِلِ[٢]

فلعلنا نلحظ الثبات الإنفعالى للشاعر، وقوة عاطفته، واستمراره في دعوة ولده إلى تنفيذ القيم الإنسانسة الرفيعة، والدليل على ذلك استمراره في تكرار أفعال الأمر، وإذا الشرطية؛ مما يدل على حرص الشاعر على تنفيذ هذه الوصايا ولزومها، كما تعد "فاء الجزاء" أداة فاعلة في الربط بين أبيات القصيدة وسياقتها؛ من هنا كان ثبات العاطفة وقوتها وصدقها .

(١) دلالة صيغة الأمر في قصيدة والضيف أكرمه، د / نواف عبدالكريم، جامعة البلقاء التطبيقيّة ،كلّيّة إربد الجامعيّة ص١٨٣٤ بتصرف .

(٢) المفضليات: ج١، ص٣٨٥ .

المحور الثانـي

اللغـة الشعريـة

اللغة هي مادة الشاعر التي بواسطتها يعبر عـن تجربتـه الشـعرية، وتظهر تجربته من خلال صياغتها في قوالب أدبية توضح مهارتـه الفنيـة وتمكنه من أدواته؛ ولأهمية اللغة في بناء البيت الشعري؛ عنـي الشـعراء بحسن اختيارهم للألفاظ وصحة موضعها، وملائمتها للمعني المقصـود فـي جميع العصور الشعرية ، ولارتباط اللفظ بالمعني ارتباطًا وثيقًا، عدَّهما بعض النقاد – كابن رشيق – أنهما شيئًا واحدًا متلازمًا ملازمة الروح للجسد، ولا يمكن الفصل بينهما بحال، فقال: " اللفظ جسم، روحه المعنى، وارتباطه بـه كارتباط الروح بالجسد، يضعف بضعفه، ويقوى بقوّته، فإذا سـلم المعنـى، واختلّ بعض اللفظ كان نقصا للشعر، وهجنة عليه، وكذلك إن ضعف المعنى واختلّ بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظّ، كالذى يعـرض للأجسـام مـن المرض بمرض الأرواح وقد اشترط في تعبير الأديب شاعرًا كان أم نـاثرًا أن يكون فصيحًا، لا غريبًا وحشيًا، ولا عاميًا سوقيًا مبتذلًا "[١].

فالأسلوب السامي الدقيق يجنح إلى تلاصق العبارات... فتتألف القطعة الأدبية من وحدات بسيطة متوالية أشبه بحبات العقد، كل منها جوهر فـرد، فإذا انفصل عن العقد شيء ظل العقد دون أن يضار في جوهر بنائـه وفـي أساس نظمه[٢].

---

(١) العمدة لابن رشيق، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي(المتوفى:٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل بيروت، الطبعة الخامسة، ج١، ص١٢٤ بتصرف .

(٢) قصة الأدب في الحجاز: عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجى : مكتبة الكليـات الأزهرية، ص٢٩٩ بتصرف.

ويتضح من ذلك أن اختيار لغة الشعر من الأمور المهمة التي يستدل بها على القيمة الفنية للعمل الأدبي، فالأديب المبدع هو الذي يختار اللغة التي تحرك كوامن الأشجان عند المتلقين وتضرب على أوتار الأحاسيس أجمل الألحان، لاسيما إذا توافقت اللغة التى اختارها الشاعر مع المضمون الرئيسى للتجربة وتعبر عن خواطره ، وتكون ملائمة لأغراضه الفنية؛ لأنها كالألوان بالنسبة للرسام؛ حيث تُظهِر جمال فنه وتجذب إليه أنظار الآخرين.

وقد اعتني الشاعر في هذه القصيدة بألفاظه عناية كبيرة، فقد تخير في قصيدته الألفاظ التي تثير المشاعر وتحرك الأحاسيس، كما جاءت موافقة لحالته النفسية، وعاطفته الجياشة وتأثره الشديد بالقيم الإنسانية والخلقية في مجتمعه، ورغم ما نعرفه عن لغة هذا العصر من النزوع إلى الرصانة وربما الغرابة، فإننا نلحظ على غير المعتاد أن شاعرنا تخير لغة سهلة مألوفة؛ ولعل ذلك راجع إلى أصل التجربة، فالوصية لا تحتاج إلى التعمق والتعقيد في اللغة، إنما يعمد صاحبها إلى اختيار ما يتناسب مع مقام النصح والتوجيه، ويتضح ذلك في قوله:

واسْتَأنِ حِلْمَكَ في أُمورِكَ كُلِّها وإذا عَزَمْتَ علي الهَوَى فَتَوكَّلِ

وَإذَا تَشَاجَرَ في فؤَادِكَ مرّةً أَمرانِ فَاعمَد للأَعفّ الأَجملِ[1]

فيوصي الشاعر ولده بالحفاظ على قيمتين من أجل القيم الإنسانية ألا وهما الحلم في أموره كلها، واللجوء إلى العفة دائما، والناظر في هذين البيتين يجد مثالًا واضحًا للسهولة البالغة والرقة المتناهية والإحساس العميق المفعم بالعاطفة الجياشة بالقيم الإنسانية، والألفاظ البعيدة عن كل

(١) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

غرابة وتنافر، والخالية من مظاهر الثقل والتعقيد، كما يشعر المتلقي قربها من مشاعره وأحاسيسه؛ لأنها تمس جانبًا مهمًا من جوانب الحياة من مثل(حلمك، الهوى، وتوكل، فؤادك، اعمد .....).

كما نجد في ألفاظه قوة السبك، ومتانة الأسر، وسهولة الحرف، كما أنها تتمتع بالإحساس المفعم بالعاطفة الجياشة؛ حيث وضع كل كلمة في موضعها الملائم لها، فكان دقيقاً في اختيار ألفاظه الشعرية، ونلمس ذلك في قوله:

وإذا أَتَتْكَ من العَدُوِّ قَوارِصٌ فاقْرُصْ كذاكَ ولا تَقُلْ لم أَفْعَلِ

وإذا افْتَقَرْتَ فلا تَكُنْ مُتَخشِّعا تَرْجُو الفَواضِلَ عندَ غيرِ المُفْضِلِ[1]

فيحث الشاعر ولده على الشجاعة، وأن يأخذ حقه ويفعل مايراه صوابًا، ولو افتقر فلا يطلب إلا من الكريم ولا يقصد غيره؛ حتى لا يعرض نفسه للإهانة والمذلة، ولعلنا نلحظ أن اختيار الشاعر للغته من قاموسه الشعرى ينم عن وعيه بمضمون التجربة؛ لذا جاءت لغته الشعرية بعيدة عن الغموض والتعقيد والحوشية.

ولا نبالغ إذا قلنا: أن هذه القصيدة تتألف من الألفاظ الفصيحة الصحيحة المألوفة البعيدة عن الغموض والتعقيد؛ حيث جاءت لغتها موافقة للغة العاطفة والوجدان، فأثارت الحس وحركت المشاعر وأسست لقيم إنسانية سامية، فقد استطاع الشاعر وضع كل لفظة في موضعها موافقة لغرض النصح والإرشاد والحفاظ على القيم الإنسانية والخلقية المتوارثة، كما أن هذه الألفاظ تآزرت مع بعضها لتكتمل معالم الصورة الأدبية في دقة وحيوية وإيحاء بالمعنى الذي قصده الشاعر، والمتمحص في ألفاظ القصيدة

(١) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

لا يجد إلا السهولة والوضوح وحُسن الصياغة وجودة التراكيب، واستخدام الألفاظ في مكانها الصحيح، وذلك متمثل في قوله:

اللهَ فاتَّقِـــــهِ وأَوْفِ بِنـذْرِهِ ... وإذَا حَلَفْتَ مُمارِياً فَتَحَلَّلِ

والضَّيْفَ أَكْرِمْهُ فإنَّ مَبِيتَـــهُ ... حَــقٌّ ولا تَكُ لُعْنَةً لِلنُّزَّلِ

وأعلمْ بأَنَّ الضيفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ ... بِمَبِيتِ لَيلتِهِ وإنْ لم يُسْأَلِ[1]

كما هو واضح أن الشاعر اختار الألفاظ الشعرية التي تؤدي الغرض من القصيدة، والوصول إلى نفس المتلقي والقارئ دون الوقوع في التنافر أو الثقل أو الغموض من مثل:(الله، اتقه، أوف، نذر، حلفت، الضيف، .....)، ولا غرو في ذلك فهذه السمات الأسلوبية تعد من الخصائص اللفظية والفنية في القصيدة الجاهلية .

كما جاء الأسلوب تابعًا للفظ من حيث السهولة والوضوح، والبعد عن الحوشي الغريب، فنجد من الظواهر الأسلوبية في القصيدة تكراره لأفعال الأمر فيقول:

وصِلِ المُواصِلَ ما صَفَا لكَ وُدُّهُ ... واحْذَرْ حِبالَ الخائِنِ المُتَبَدِّلِ

واتْرُكْ مَحَلَّ السَّوْءِ لا تَحْلُلْ بِهِ ... وإذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ[2]

فنلحظ استخدام الشاعر لأفعال الأمر من مثل: (صل، احذر، اترك، لا تحلل، تحول....)، وهو من الأساليب التي تؤكد المعني وتقويه، وتتناسب مع غرض النصح وفي هذا التكرار ما يدل على أهمية القيم الإنسانية التي يوصي بها الشاعر ولده، ولكن الذي نلحظه خروج الأفعال من معناها الحقيقي إلى معني مجازي وهو النصح والإرشاد، وذلك استنادًا إلى طبيعة

(١) المفضليات ج١، ص٣٨٥.

(٢) السابق نفسه .

الخطاب المتبع ومقام القول.

كما استخدم الشاعر أسلوب النهي بصورة واضحة، وهو أحد أساليب الإنشاء الطلبي، وهذا الأسلوب موافق تمامًا لمعني النصح والإرشاد وكل ما من شأنه النصح والتوجيه الذي تقوم عليه الوصايا، لأن الشاعر نهى ولده عن اجتناب الرذائل، والابتعاد عن مواطن الذلل، ومن ذلك: (لَا تَقُلْ، فلاَ تَكُنْ، ولا تَكُ لُعْنَةً لِلنُّزَّلِ .....)، وذلك لتقرير المعنى في النفوس؛ لأن الشاعر لا يخاطب ولده فقط بل يخاطب أبناء مجتمعه .

ومن الأساليب التى وردت في القصيدة أسلوب التوكيد، وهو من الأساليب التى تقوي المعنى ومن أساليب التوكيد الذي استخدمها الشاعر في قصيدته (إنَّ) فهي تزيد الجمل توكيدًا وتربط بينها ربطًا وثيقًا، وتسهم في تقوية المعنى وتوضيحه، ومن ذلك قوله:

والضَّيْفَ أَكْرِمْهُ فإنَّ مَبِيتَهُ حَقٌّ ولا تَكُ لُعْنَةً لِلنُّزَّلِ

وأعلمْ بأَنَّ الضيفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ بِمَبِيتِ لَيلتِهِ وإنْ لم يُسْأَلِ[1]

ومن الأساليب التى وردت في القصيدة أسلوب الشرط، ويعد من الأساليب الإنشائية في اللغة، وهو لا يحتمل الشك في حقيقة الكلام، لذا يسمى إنشائيًا، ومن أساليب الشرط التي استخدمها الشاعر في قصيدته (إذا) التي"تدل على الزمان"، وعلى تلازم جملتين وارتباطهما بواسطة أداة الشرط، بحيث لا يمكن أن تتحقق جملة جواب الشرط إلا بتحقق جملة فعل الشرط، أي إن وقوع جملة الجواب وتحققها مشروطٌ -في الغالب- بوقوع جملة

(١) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

الشرط، فإذا تحقق الشرط تحقق الجـــواب" [1] . ومن ذلك قوله:

وإذا أَتَتْكَ من العَـــدُوِّ قَوارِصٌ فاقْرُصْ كذاكَ ولا تَقُلْ لم أَفْعَلِ

وإذا افْتَقَرْتَ فلاَ تَكُنْ مُتَخشِّعًا تَرْجُو الفَواضِلَ عندَ غيرِ المُفْضِلِ

وإذا لقِيتَ القومَ فاضرِبْ فيهمُ حتَّى يَرَوْكَ طِلاءَ أَجْرَبَ مُهْمَل[2]

ويتضح لنا أن هذه الأساليب الإنشائية لم يستخدمها الشاعر جزافًا، فلم تكن مجرد أدوات تعبيرية فحسب بقدر ما كانـــت إحـــدى عناصـــر الإيجـــاز والإبلاغ والإثارة؛ لقدرتها الفائقة على تحريك عاطفة الموصي إليهم، وإيقاظ شعورهم وإحساسهم .

أما عن المحسنات البديعية فقد جاءت قليلة وعفوية؛ لتزيين الأسلوب وتقويته فمن المحسنات البديعية المقابلة مثل قوله :

وإذا هممتَ بأَمرِ شَرٍّ فاتَّئِدْ وإذا هممت بأمر خيرٍ فافْعَلِ(٣)

فالشاعر يوصي ولده بأنه إذا فكر في فعل شر فيجب عليه التأني فيه، ولا يتسرع في فعله حتى يدرس عواقبه، وفي المقابل إذا فكر في فعل خيـــر فلا يتردد في فعله، وعليه بالإسراع فيه، فقابل الشاعر بين "شر فاتئد" فـــي الشطر الأول، وبين "خير فافعل" في الشطر الثاني، فالمقابلـــة أســـلوب فـــي التعبير يقوم على مبدأ إقامة تضادّ بين الألفاظ والمعـــاني؛ تحقيقًـــا لغايـــات بلاغية وقيم فكرية، ومع أنّ المقابلة في مذهب أغلب القدماء محسّن بديعيّ فقط، غير أنّ المتأمّل في دِلالاتها واستخداماتها الكثيرة يرى أنّ لها أغراضًا

(١) المباحث المرضية المتعلقة بـــ (من) الشرطية: عبد الله بن يوسف بن أحمد بـــن عبـــد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: الدكتور مازن المبارك: دار ابن كثير- دمشق/بيروت، الطبعة:الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م ،ج١ ، ص٥٥ .

(٢) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

(٣) السابق، ص٣٨٥ .

أبعد من ذلك، فهي تسهم في دقة المعنى وجماله، كما أن لها آثارها وقيَمها البعيدة، وتساعد في إبراز كثير من المعاني بما فيها من ثنائيّة وتضادّ[١].

ومن الطباق قول الشاعر:

فَأَعِنْهُمُ وأيْسِرْ بِما يَسَرُوا بهِ وإذا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فانْزِلِ[٢]

فجاء الشاعر بالطباق بين (اليسر) في الشطر الأول، وبين (الضنك) في الشطر الثاني؛ مما ساعد على تقوية المعني، وزاده جمالًا، وكان له الأثر الواضح على فكر الإنسان؛ بحيث يجعل المعنى راسخًا في ذهن المتلقي والسامع .

ومن هنا يتضح لنا بعد هذا العرض أن اللغة في القصيدة _محل الدراسة_ ارتبطت بثقافة الشاعر وبمرجعياته الفكرية وبخبراته الحياتية وبكل العوامل الذاتية والموضوعية التي تساهم في تجاربه الشعرية، فهي ترجمان لتصوراته وأحاسيسه، كما أنها صورة معبرة عن همومه الفكرية والنفسية والاجتماعية .

(١) مقال بعنوان : أسلوب التقابل وأثره في بلاغة الخطيب، شريف عبدالعزيز، عضو الفريق العلمي، تاريخ النشر ١٢ /١٠ / ٢٠٢٢م ، تاريخ الزيارة ٣/٩ /٢٠٢٣م بتصرف .

(٢) السابق، ص٣٨٤ .

المحـور الثالـث

الصـورة الفنيـة

تعد الصورة الفنية من العناصر المهمة في حقـل الدراسـات الأدبيـة بصفة عامة، وفي الشعر بصفة خاصة؛ لأن الصورة هي «الوسـيلة الفنيـة الجوهرية لنقل التجربة سواء أكانت صورة كلية أم جزئيـة، فمـا التجربـة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء، هي بدورها صورة جزئية تقـوم من الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحديث الأساسي في القصـة والمسرحية، ويجب أن تتآزر الأجزاء الأخرى في نقل التجربة نقلًـا صـادقًا فنيًا وواقعيًا» (١) .

فالصورة عند المحدثين: تعني «كلّ حيلة لغوية يراد بها المعنى البعيد- لا القريب- للألفاظ، أو يغير فيها الترتيب العادي لكلمات الجملة أو لحروف الكلمة، أو يحلّ فيها معنى مجازي محلّ معنى حقيقي، أو يثار فيها خيال السامع بالتكنية عن معان يستلزمها المعنى المألوف للفظ، أو ترتّب فيها الألفاظ، أو يعاد ترتيبها لتحسين أسلوب الكلام أو زيادة تأثيره في نفس القارئ أو السامع»(٢).

والصورة الفنية ميدان فسيح رحب يتبارى فيه الشعراء فيحوز أحدهم السبق ويدانيه الآخر، ويتخلف الثالث ... وهكذا فيوضع كل واحد في مكانه الصحيح في خط سير الأدب عن طريق ما أتيح له من ملكة الخيال، وتوظيفه

---

(١) النقد الأدبي الحديث. د / محمد غنيمي هلال، ط ٣ / ١٩٦٤ ، دار مطـابع الشـعب ، ص ٤٤٩ بتصرف .

(٢) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني ": الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الـدين ديب: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م ،ص٢٥٤ .

في خدمة الصورة الأدبية .

ولأهمية ومكانة الصورة الأدبية اعتني الشعراء بصورهم اعتناءً كبيرًا وتسارعوا بتقديم معانيهم في حلّة أنيقة من الألفاظ والتراكيب تتنامى فيها قوّة الخيال والإيحاء، لهذا أجلّ النقّاد الصورة ووصفوها بأنها: « كيان يتعالى على التاريخ »(١).

ولعلنا عند مطالعة الصورة الفنية في القصيدة التى معنا نقف على مكررة الشاعر في توظيف الخيال والمحسنات البديعية في رسم المشهد النفسي الذي أراد أن يصل إلى المتلقي عبر تراكيب لغوية موحية .

صور كلية نجدها في النص بوصفه عملًا فنيًا متكاملًا ، وصور جزيئة تكمل المشهد الإبداعى وتتضافر مع غيرها لتعبر عن المضمون الرئيسي للتجربة الشعرية .

ومن الصور الجزئية التي أتى بها الشاعر «الاستعارة» وهي أن يكون للّفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم(٢)، فيكون هناك كالعارية ونلمس الاستعارة في قوله:

وصلِ المُواصِلَ ما صَفَا لكَ وُدُّهُ واحْذَرْ حِبالَ الخائِنِ المُتَبَدِّلِ(٣)

حيث جعل للخائن حبالًا يتمسك بها، فكأن الخيانة شيء ممدود بحبل، ولكنه حبل واهٍ ضعيف، كناية عن هشاشة التمسك به، وقوله "المتبدل" كناية

---

(١) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني ، ص٢٥٤.

(٢) أسرار البلاغة فى علم البيان: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١ هـ) ،المحقق: عبد الحميد هنداوي : دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ص٣١ .

(٣) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

عن المكر والخداع الذي يتلون به المخادع؛ حتى لا يكشفه أحد من البشر الذي يقوم بخداعهم، وهذا على سبيل الاستعارة المكنية.

ومنه قوله:

دَارُ الهَوَانِ لِمَنْ رَآها دَارَهُ أَفَرَاحِلٌ عنها كَمَنْ لم يَرْحَلِ[1]

فشبه الشاعر الدنيا بدار الهوان والضعف؛ لأنها ليست باقية على أحد، فحذف المشبه (الدنيا) وأتى بشيء من لوازمه وهي داره، وذكر المشبه به وهو الهوان على سبيل الاستعارة المكنية، ويتضح لنا أن استعارات الشاعر جاءت عفوية في موضعها، فجاء موفقًا في استخدامها؛ حيث إنَّ: " من شأنِ الاستعارةِ أنك كلّما زدتَ إرادتَك التشبيهَ إخفاءً ازدادتِ الاستعارةُ حسنًا، حتى إنك تراها أغربَ ما تكونُ إذا كان الكلامُ قد أُلِّف تأليفًا إن أردتَ أن تُفصحَ فيه بالتشبيه خرجتَ إلى شيءٍ تعافُه النفسُ ويلفظُه السَّمعُ"[2].

ومن الصور الفنية التى زين بها الشاعر قصيدته "الكناية" وهي في اللغة مصدر كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به، وفي اصطلاح أهل البلاغة: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى[3].

ومن لطيف كناياته قوله:

أَجُبَيْلُ إِنَّ أَبَاكَ كارِبَ يَوْمُهُ فإِذَا دُعِيتَ إِلى العَظَائِم فاعْجَلِ[4]

---

(١) المفضليات: ج١، ص٣٨٥ .

(٢) دلائل الإعجاز: أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، دار الكتاب العربي – بيروت تحقيق: د. محمد التنجي،الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص ٣٢٧ .

(٣) علم البيان: عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) : دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٢ م ، ص٢٠٣ بدون طبعة .

(٤) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

فقوله (كارب يومه) في الشطر الأول كناية عن دنو أجل الشاعر، وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، وهي من الكنايات اللطيفة التى تشير إلى انتهاء الرحلة وأن الشاعر على مشارف المغادرة ولا مناص من أن يترك لابنه ما يعيينه على مواجهة هذه الحياة من نصائح تقوده إلى السيادة في قومه من جهه، ثم إلى أن يعيش الحياة ولديه من الرصيد في مواجهة كروبها ما يكفيه، وقوله (فاعجل) جواب الشرط كناية عن سرعة الاستجابة في الطلب الموصى به وهو الدعوة إلى الأمور العظيمة التى ترفع من شأن صاحبها.

ومن كناياته قوله:

اللهَ فاتَّقِهِ وأَوْفِ بِنذْرِهِ وإِذَا حَلَفت مُمارِيًا فَتَحَلَّلِ[1]

فهذا البيت كناية عن مدى قوة الإيمان في قلب الشاعر؛ لذا نراه يوصي به ولده، كما أنه يحذره من أن يحلف كذبًا، ويبدو أنّ الاتّجاه التّوحيديّ، الذي عرفتْهُ الجزيرة العربيّة، قد ترك أَثرًا واضحًا في نفوس أبناء المجتمع في عصر ما قبل الإسلام.

وقوله:

..... طَبِنٍ بِرَيْبِ الدَّهْرِ غيرِ مُغفَّلِ[2]

فقوله: "غير مغفل" كناية عن خبرة الشاعر وفطنته وتجاربه في الحياة، وأنه يوصي ابنه بخلاصه هذه التجارب بما تحمله من قيم إنسانية وخلقية يفتخر بها العربي إذا لزمها.

وقوله: دار الهوان لمن رآها داره أفراحل عنها كمن لم يرحل[3]

(١) المفضليات، ج١ ، ص٣٨٤.

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) السابق نفسه .

فقوله "دار الهوان" كناية عن دناءة الدنيا وحقارتها وضعفها وذلها، فهي كذلك لمن رآها داره، لطف الكناية هنا جاء من كونها دار هوان وهذا كفيل بأن يجعل العاقل يزهد في متاعها، وأن يجعلها في يديه وليس في قلبه.

وفي قوله "أراحل عنها" كناية أخرى؛ لأن الرحيل هنا ليس حسيًا بل هو رحيل معنوى، فقوله راحل عنها كناية عن الزهد فيها وعدم الغرور بمتاعها .

فالكناية من ألطف الصور البلاغية وأرقها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح[1]؛ لأنها تُعَد أكثر تأثيراً في النفوس من التعبير المباشر، ويكون الانتقال فيها من الملزوم إلى اللازم فهي كالدعوى ببينة، مما يؤكد تمكنه من أدواته اللغوية، فضلًا عن الشاعرية المرهفة، والموهبة الصادقة الأصيلة .

(١) الصورة الفنية في الشعر الإسلامي عند المرأة العربية في العصر الحديث. د / صالح بن عبد الله بن عبد العزيز الحضري ، ط: ١ / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م - منشورات الرياض ص ٢٤٢ .

المحـور الرابـع

الموسـيقى الشـعريـة

تعد الموسيقى الشعرية من «أقوى عناصر الإيحاء في الشـعر، وأداة من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته، وهي بالإضـافة إلى هـذا فارق جوهـري من الفوارق التي تميز الشـعر عـن النثـر»[١] وذلك « لما لها من تأثير على نفوس السامعين مثلها مثل الخيال، بل ربمـا يستغني الشاعر عن الخيال في بعض أبياته، ولا يستطيع أن يسـتغني عـن الموسيقى»[٢].

فإلقاء الشعر وتذوقه يتطلب الإحساس بما في الشعر من موسيقى تنبع من الوزن، فللوزن قيمة كبرى في الشعر حتى عد من أهم الفـوارق بينـه وبين النثر، والشعر يحلو بالموسيقى الجيـدة، ويضـعف شـأنه إذا كانـت موسيقاه غير جيدة؛ فلابد من الإحساس بنوع الموسيقى الشعرية وتنوعهـا ووجه ارتباطها بالمعنى حين تلقى قصيدة ما [٣].

فالعلاقة بين الشعر والموسيقى «علاقة عضوية، فالشعر في صياغته الفنية يتكون من تفعيلات تمثل وحدات موسيقية تكسب القصيدة نغمًا آسرًا مؤثرًا وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم؛ ينقطع ذلك الخيط الفني الـدقيق، الذي يشد المتلقي إلى سماع الشعـر»[٤] .

---

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة . على عشري زايد، الطبعة الخامسـة – مكتبـة الآداب ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ص ١٥٤ .

(٢) في النقد الأدبي. د / شوقي ضيف، – مكتبة الدراسات الأدبيـة – دار المعـارف بمصـر ١٩٦٢ م ص ١٥١ .

(٣) فن الإلقاء: طه عبد الفتاح مقلد: مكتبة الفيصلية، ص٢٠٢ .

(٤) موسيقي الشعر العربي بين الثبات والتطور. د/صابر عبد الدايم، ط ٣ / ١٩٩٣م، مكتبـة الخانكي بالقاهرة والنشر ص ١٦ .

وقد اختلفت أراء النقاد في العلاقة بين الموسيقى والشعر، فراح بعضهم يحلل كلمة الشعر في اللغات السامية، ويرجع أصلها إلى معنى الغناء؛ ليؤكد ارتباطها بالموسيقى.

ولكننا حينما نمعن النظر في بنية القصيدة العربية «نجد أن البناء بالموسيقى في مقدمة البنى التي تتكون منها القصيدة عند العرب، ويروي النقاد أن البناء بالموسيقى يتقدم على البناء بالصورة؛ لأن القصيدة إذا فقدت العنصر النغمي «الوزن الشعري» خرجت من دائرة الشعر إلى دائرة النثر» (١).

فبالموسيقى يتميز الشعر من النثر بالإيقاع المنتظم وبالنغم المتباين، ليعمل ذلك التطريب على النشوة لدى المتلقي والإحساس بالرنين العذب الرقراق .

وإذا تأملنا عناصر الموسيقى الشعرية في قصيدة (والضيف أكرمه) نراها تنقسم قسمين:

أ – موسيقى خارجية: متمثلة في الوزن والقافية.

ب – موسيقى داخلية: متمثلة في الإيقاع وبعض الأصوات، وإيثار الكلمات ذات الأجراس الخافتة والذبذبات الهامسة .

الوزن: هو الإطار الموسيقى الذي يحكم القصيدة، وهو عبارة عن«مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت» (٢) .

والوزن مرتبط ببحور الشعر العربي المعروفة، وهو عنصر أساسي

---

(١) موسيقي الشعر العربي بين الثبات والتطور. ص ١٩ .

(٢) النقد الأدبي الحديث . د / محمد غنيمي هلال دار مطابع الشعب – الطبعة الثالثة ١٩٦٤م، ص ٤٦٩ .

من عناصر الشعر، بل هو «أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية» [١].

والشاعر يهتدي بذوقه وحاسته الموسيقية إلى الوزن الذي يحكي انفعاله ويؤديه «فكما أن للانفعال ظواهر جسمانية عملية كاضطراب النفس، وضعف الحركة، وسرعة التنفس، فله أيضا ما يناسبه من الأوزان، فالانفعال السريع تناسبه الأوزان القصيرة ذات الوحدة، أما الانفعال المتئد فله الأوزان الطويلة ذات الوحدتين» [٢] .

لهذا فهناك صلة وثيقة بين الوزن والعاطفة؛ لأن «الشعر فيض الوجدان، وذوب الأحاسيس، وانفعالات الشاعر لا تأتي إلا بعد معاناة تأخذ على الشاعر كل كيانه، حينئذ تخرج القصيدة لتثبت الصلة بين معانيها وكيان قائلها» [٣] .

ولقد حافظ شعراء العصر الجاهلي على التفاعيل الخليلية أي «البحور ذوات التفعيلة الواحدة مثل الكامل، والرمل، والطويل، والبسيط...وهي بحور تساعد الشاعر على حرية التصرف في السطر الشعري» [٤] .

وقد نظم الشاعر قصيدته على (بحر الكامل) [٥]

---

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده . لابن رشيق القيرواني ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الطلائع – القاهرة ٢٠٠٩ م، جـ ١ ص ١١٥ .

(٢) دراسات في الأدب واللغة، مقالات كتبها أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب – جامعة طنطا ٢٠٠١ م .

(٣) موسيقى الشعر العربي التشكيل والتجديد. د/ نبويه الخولاني ص ١٠٣ ، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م .

(٤) جماليات القصيدة المعاصرة، د / طه وادي مكتبة لبنان – بدون تاريخ. ص ٨٢٢ .

(٥) أجزاؤه « متفاعلن، متفاعلن، متفاعلن» في كل شطر. الكافي في العروض والقوافي. الخطيب التبريزي الحساني حسن عبد الله، ط : ١ – مكتبة الخانجي ص ٢٢ .

« وهو أتم الأبحر السباعية، وقد أحسنوا بتسميته كاملًا؛ لأنه يصلح لكل نوع من أنواع الشعر؛ ولهذا كان كثير الدوران في كلام المتقدمين والمتأخرين، وهو أجود في الخبر من الإنشاء، وأقرب إلى الشدة منه إلى الرقة» (١) .

ويمتاز هذا البحر «بطواعيته للعديد من الأغراض الواضحة الصريحة وهو مترع بالموسيقى، ويتفق مع الجوانب العاطفية المحترمة داخل الإنسان، كما أنه يجمع بين الفخامة والرقة» (٢) .

وهو بحر يتسم بالقوة وتتابع التفعيلات، مما يدفع القارئ إلى متابعة قراءة القصيدة في انفعال شديد، فهو بحر يتسم بالمرونة والطواعية .

ويتضح ذلك في قوله (٣):

واسْتَأنِ حِلْمَكَ في أُمورِكَ كُلِّها ... وإذا عَزَمْتَ علي الهَوَى فَتَوكَّلِ

وإذا تَشَاجَرَ في فُؤَادِكَ مَرَّةً ... أَمْرَانِ فاعْمِدْ لِلأَعَفِّ الأَجْمَلِ

وإذا لَقيتَ الباهشِينَ إلى النَّدَى ... غُبْراً أَكُفُّهُمُ بِقاعٍ مُمْحِلِ

فَأَعِنْهُمُ وأَيْسِرْ بِما يَسَرُوا بِهِ ... وإذا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فانْزِلِ

فالوزن أخص ميزات الشعر وأبينها في أسلوبه ويقوم على ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتاد والفواصل، وعن ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها، فأبيات القصيدة كاملة قائمة على هذه التفعيلة-متفاعلن- وبحر الكامل من أصلح البحور «لإبراز العواطف

(١) إلياذة هوميروس « المقدمة » سليمان البستاني – مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت، ص ٩٢ .

(٢) دراسات في النص الشعري في العصر العباسي.د/عبده بدوي – م الشباب ص٦٦ .

(٣) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

البسيطة غير المعقدة، فهو ذو نغم مجلجل رنان، يصلح لكل ما هو عنيف من الكلام، كما يصلح للترنم الخالص والتغني» [١] .

ويظهر أن الوزن ظاهرة طبيعية للعبارة ما دامت تؤدي معنى انفعاليًّا، فقد ثبت في علم النفس أن الإنسان حين يملكه انفعال تبدو عليه ظاهرات جثمانية عملية كاضطراب النبض، وضعف الحركة أو قوتها وسرعة التنفس أو بطئه، وحركة الأيدي قبضًا وبسطا، وهذه نفسها دليل على ما في النفس من قوة قوية طارئة، فاللغة التي تصور هذا الانفعال لا بد أن تكون موزونة، ذات مظاهر لفظية متباينة لتلائم معناها وتكون صداه الصحيح[٢] .

** **القافية** :

هي الشق الثاني للموسيقى الخارجية، وتعد قسيم الوزن في تشكيل الإيقاع النغمي داخل القصيدة، فهي المرفأ الذي يستقر عليه في نهاية كل بيت ما تبقى من شحنات الشاعر العاطفية والانفعالية .

والقافية ركن مهم من أركان القصيدة في بنائها وموسيقاها، حيث يتكرر صوتها في آخر الأشطر أو الأبيات ، وتكرارها يكون جزءًا مهمًا من الموسيقى الشعرية « فهي بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع ترددها، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن» [٣].

« وللقافية قيمة موسيقية في مقطع البيت، وتكرارها يزيد من وحدة النغم، ولدراستها في دلالتها أهمية عظيمة، فكلماتها في الشعر الجيد ذات

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها . د / عبد الله الطيب المجذوب – طبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ١٩٩٥م ، جـ ١ ص ٤٤٦ ، وما بعدها بتصرف .
(٢) الأسلوب: أحمد الشايب: مكتبة النهضة المصرية الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣، ج١، ص٦٦.
(٣) موسيقى الشعر. إبراهيم أنيس ص ٢٤٦ .

معان متصلة بموضوع القصيدة، بحيث لا يشعر المرء أن البيت مجلوب من أجل القافية، بل تكون هي المجلوبة من أجله، ولا ينبغي أن يؤتى بها لتنمية البيت بل يكون معنى البيت مبنيا عليها، ولا يمكن الاستغناء عنها فيه، وتكون كذلك نهاية طبيعية للبيت، بحيث لا يسد غيرها مسدها في كلمات البيت قبلها» (١).

وتختلف النظرة إلى ضرورة الاعتماد على القافية في الشعر فهي: «النغمة المتناسقة التي تشد الصورة الأدبية الجزئية في إطار الصورة الكلية العامة للقصيدة أو المقطوعة، شدًّا محكمًا وثيقًا، مما يؤكد وحدة الموسيقى وتألفها مع المعاني الجزئية فيها»(٢) .

«فلا يسمى الشعر شعرا حتى يكون له وزن وقافية»(٣)، فالقافية تحدث النغم المتكرر عند كل بيت، كما أنها بمثابة القفل للبيت، ليبدأ بيت جديد بعد القافية .

فللقافية قيمتها الموسيقية، كما أن لها قيمتها النفسية، وباتحادهما يكتمل النغم الذي بدأ أولاً بالوزن وما يحتمله من أفكار ومعان، وقد اهتم الشاعر بموسيقى قوافيه من حيث النطق والصوت، فلم يتخذ رويًا من الحروف التي تخدش السمع، وتؤذي الأذن، التي عرفت بقلة شيوعها وندرتها في الشعر العربي.

ونلحظ ذلك في قصيدة (والضيف أكرمه) حيث يقول (٤):

---

(١) النقد الأدبي الحديث. محمد غنيمي هلال ص ٤٧٦ .

(٢) البناء الفني للصورة الأدبية. د / علي علي صبح ص ٢٥٥ .

(٣) العمدة لابن رشيق جـ ١ ص ١٥١ .

(٤) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

أُوصِيكَ إِيصَاءَ امرئ لكَ نَاصِحٍ طَبِنٍ بِرَيْبِ الدَّهْرِ غيرِ مُغفَّلِ
اللهَ فَاتَّقِهِ وأَوْفِ بِنَذْرِهِ وإِذَا حَلَفْتَ مُمارِيًا فَتَحَلَّلِ

فاستخدم الشاعر قافية اللام المكسورة التي تخرج من أدنى حافتيّ اللسان إلى منتهاهما، مع ما يحاذيهما من لثة الأسنان العليا من الضاحك إلى الضاحك، وحرف اللام حرف متوسط، منحرف، مجهور، مستفل، منفتح، فلا هو مجهور، ولا هو مهموس، ولكنه حالة متوسطة بين كمال الشدة وكمال الرخاوة، وذلك لطبيعة مخرجه، المغلق من الأمام والمفتوح من الخلف، حيث يعاق الصوت أولًا، ثم يجري ثانيًا؛ لذا أسهمت قافية اللام في تحقيق موسيقى داخلية من تكرار حرف اللام أكثر من مرة في كل بيت(١).

وهذه القافية المطلقة التى جاء الإطلاق فيها من اشباع حركة اللام جاءت مناسبة لغرض القصيدة، فالنصائح ممتدة امتداد هذه القافية المطلقة، والشحنة العاطفية المنسابة من نفس الشاعر يناسبها هذا الإطلاق وهذا الإشباع لحركة اللام.

ومن العيوب التي وقع فيها الشاعر:

التضمين (٢).

هو تعلق البيت الثاني بالبيت الأول في المعنى، ويراه كثير من النقاد عيبًا لتعلق البيت التالي بالبيت السابق في المعنى، وذلك إذا كانت القافية لا تستقل عما بعدها، ومن ذلك قول الشاعر:

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين الأستراباذي: تحقيق وضبط وشرح : محمد نور الحسن محمد محيي الدين عبد الحميد ، ١٩٧٥ م -: ١٣٩٥: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ص٢٥٢ وما بعدها بتصرف .

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب جـ ١ ص ٣٧ ..

وإذا لَقيتَ الباهشين إلى النَّدَى غُبْـــرًا أَكُفُّهُمُ بِقاعٍ مُمْحِلِ

فَأَعِنْهُمُ وأيْسِرْ بِما يَسَروا بــهِ وإذا هُمُ نَزَلُـوا بِضَنْكٍ فانْزِلِ (١)

فجاء الشاعر بأداة الشرط وفعل الشرط في البيت الأول، ثم جاء جواب الشرط في البيت الثاني، فلم يتم المعنى إلا بجواب الشرط، وجـاء مقتـرن بالفاء وجوبًا؛ لأن جواب الشرط جاء جملة فعلية فعلها طلبي.

وفي استخدام التضمين اختلفت آراء النقاد فمنهم من عدَّه عيبًـا فـي الشعر، بيد أني أميل إلى أن التضمين ليس عيبًا، وإنما يعد مـن مميـزات الشعر؛ حيث إنه يدل على اتصال القصيدة، وامتداد خيطها في نفس الشاعر، ولعل ممن يؤيد هذه النظرة الدكتور عبدالله الطيب في قوله [٢] :« وعندي أن التضمين ليس بعيب كبير، وكثيرًا ما يحسن موقعه إذا كان البحر قصيرًا، أو كان الشعر قصصيًا آخذًا بعضه برقاب بعض ... » .

وبوجه عام فإن الشاعر بما عول عليه من حروف هامسة، وكلمـات موحية، وجمل متناسبة في جرسها وإيقاعها مع الجو النفسـي والموقـف الشعوري، أضفي إلى قصيدته رقة جميلة، وذاتية مرهفة، مما جعل القصيدة أشبه بمقطوعة موسيقية، وأهم من ذلك أنها ليست موسـيقى مـن النـوع الصاخب الرنان، وإنما هي موسيقى خفية ذات إيقاع هادئ وجـرس مـنظم يعبر عن إحساس الشاعر تعبيرًا صادقًا، ويتناسب مع الشعر الإنساني الذي يعالج الذات والمجتمع معًا .

(١) المفضليات: ج١، ص٣٨٤ .

(٢) المرشد جـ ١ ص ٣٨ .

الخاتمة

الخاتمة

وبعد هذه الإطلالة مع هذه القصيدة والوقوف على النزوع الإنساني فيها من الناحيتين الموضوعية والفنية، أستطيع أن أشير" من الناحيتين الموضوعية والفنية، أستطيع أن أشير إلى أبرز النتائج التى توصلت إليها الباحثة والتى تتمثل فيما يلي: تبين لي عدة نتائج منها:

- أظهرت الدراسة أن كثيرًا من القيم الإنسانية تتشكل في إطار الواقع الحضاري الذي يكشف عنه التجارب الإنسانية والخلقية الراقية، ومدى توافق هذه القيم الجاهلية مع معطيات الحضارة الإسلامية.
- كما أوضحت أن التمسك بالقيم الإنسانية والخلقية من ضرورات الحياة فبهما تعيش الأمم في هدوء واستقرار وسكينة، وأن انخفاض منسوب القيم في النفوس كان وما يزال سببًا رئيسًا في معاناة البشرية، فكثيرًا ما اكتوى المجتمع بنيران هؤلاء الذين لم يحافظوا على الأخلاق والقيم المجتمعية .
- تعد قصيدة " والضيف أكرمه " صورة حية للحياة الجاهلية وتصويرًا لأحوال الناس وطباعهم وعاداتهم وأخلاقهم وسلوكهم، كما أنها حملت في ثناياها أهم القيم الإنسانية والخلقية التي امتاز بها هذا العصر، والتي جاءت على هيئة نصيحة ووصية وهبها الشاعر لابنه.
- تعد النزعة الإنسانية بمثابة اتجاه فكري يركز على أهمية الإنسان وقيمته في الحياة، ولم تقتصر على حياة الذات والفرد، بل امتدت إلى المجتمع بأكمله .
- تعد القصيدة مثالًا حيًا لما اشتمل عليه الشعر الجاهلى من قيم إنسانية راقية، جاء الإسلام؛ليوكد أهميتها في حياة الفرد والمجتمع، ولم يتنكر لها، أو يرفضها رغم أن الإسلام كان نقله حضارية في حياة الأمة

العربية، ولكنه جاء ليدعم ما كان موجودًا من قيم تحيا الأمة بحياتها تموت بموتها وأهم هذه القيم ما جاء في هذه القصيدة من كرم ونجدة ومروءة ...وغير ذلك .

- ما أورده الشاعر في قصيدته من قيم إنسانية يعد المعيار الأخلاقيّ والإنساني الرفيع، الذي يجعل المرءَ يشعر بالسّعادة والرضا .
- تدل هذه القصيدة على مدى عناية الآباء بالأبناء ومساعدتهم بالرأي في ظروف الحياة الاجتماعية.
- تعد القصيدة تعبيرًا عن رؤية الشاعر الذاتية الانفعالية فضلًا عن كونها تجربة إنسانية صادقة .
- عاطفة الشاعر تنبض بالقوة، والثبات، والحرص الشديد على إيصالها للمتلقي في صورة فنية آسرة.
- تخير الشاعر في قصيدته الألفاظ التي تثير المشاعر وتحرك الأحاسيس، والتي توافق حالته النفسية، وعاطفته الجياشة وتأثره الشديد بالقيم الإنسانية والخلقية في مجتمعه.
- على الرغم من جاهلية الشاعر فإن كل بيت في القصيدة يمثل قيمة إنسانية وخلقية لها صدى واضح في القرآن الكريم والحديث الشريف؛ مما يدلل على قيمة معانيها .
- اعتمد الشاعر في نظم قصيدته على بحر الكامل وهو بحر يتسم بالقوة وتتابع التفعيلات، مما يدفع القارئ إلى متابعة قراءة القصيدة في انفعال شديد، فهو بحر يتسم بالمرونة والطواعية .

توصيـة:

وأخـيرًا : تعد القيم الخلقية والإنسـانية مـن الموضـوعات الحيويـة المتعطشة للدراسة في كل عصور الشعر العربي، فهي تعـد بمثابـة تربيـة للنشء وتقويم للسلوك، وترجمان للمشاعر؛ لذا أدعو البـاحثين والباحثـات إلي الإقبال عليها بالدراسات الوافية، لما لها من دلالات نفسـية وسـلوكية واجتماعية علي الأديب والمجتمع .

ثبت المصادر و المراجع .

أولًا : المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .
- الاتجاه الديني في الشعر العربي المعاصر في مصر، د / الشحات غمري أحمد، مكتبة عرفات الزقازيق ١٩٩٣ م
- أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى:٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- الأساس في التفسير: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩هـ) الناشر: دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، ١٤٢٤هـ.
- أسرار البلاغة فى علم البيان: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي، الجرجاني (المتوفى: ٤٧١ هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ .
- الأسلوب: أحمد الشايب: مكتبة النهضة المصرية الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣م.
- أصول النقد الأدبي د/أحمد الشايب –مكتبة النهضة المصرية–الطبعة العاشرة– ١٩٩٤ م.
- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر- أيار/ مايو ٢٠٠٢ م .
- إلياذة هوميروس «المقدمة» سليمان البستاني– مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت .
- البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر. تأليف د / علي علي صبح – المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، تحقيق: مجموعة من المحققين: دار الهداية .

- جماليات القصيدة المعاصرة د / طه وادي / مكتبة لبنان – بدون تاريخ .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- دراسات في النص الشعري في العصر العباسي.د/عبده بدوي – م الشباب.
- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت تحقيق: د. محمد التنجي،الطبعة الأولى، ١٩٩٥ ط .
- روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار: محيي الدين محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، (المتوفى: ٩٤٠هـ): دار القلم العربي، حلب الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .
- سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)"، ابن هشام، راجع أُصولها وضبط غريبها، الشيخ محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والتوزيع، د.ت.
- شرح المعلقات السبع: حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (المتوفى: ٤٨٦هـ) : دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ه.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ت: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- الصورة الفنية في الشعر الإسلامي عند المرأة العربية في العصر الحديث. د / صالح بن عبد الله بن عبد العزيز الحضري ، ط : ١ / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م – منشورات الرياض.
- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال: القاضي/حسين بن محمد المهدي –وزارة الثقافة، دار الكتاب رقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م راجعه: عبد الحميد محمد المهدي .
- علم البيان: عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ): دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٢ م .

- علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني ": الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان ، الطبعة: الأولى .
- العمدة لابن رشيق ،أبو على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق، محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الخامسة.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، تأليف / على عشري زايد – الطبعة الخامسة – مكتبة الآداب ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
- فن الإلقاء : طه عبد الفتاح مقلد: مكتبة الفيصلية، بدون طبعة وتاريخ .
- في النقد الأدبي تأليف، د / شوقي ضيف – مكتبة الدراسات الأدبية – دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .
- قصة الأدب في الحجاز: عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجى : مكتبة الكليات الأزهرية.
- الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي الحساني حسن عبد الله، ط: ١ – مكتبة الخانجي .
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ): دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .
- المباحث المرضية المتعلقة بـ (من) الشرطية: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: الدكتور مازن المبارك: دار ابن كثير– دمشق / بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) تحقيق: حسام الدين القدسي : مكتبة القدسي، القاهرة : ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د / عبد الله الطيب المجذوب – طبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ١٩٩٥م.

- المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: السادسة .
- موسيقى الشعر العربي التشكيل والتجديد. د/ نبويه الخولاني ،١٤٢٣هـ ٢٠٠٣ م.
- موسيقي الشعر، تأليف د / إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الثالثة ١٩٦٥.
- موسيقي الشعر العربي بين الثبات والتطور. د/صابر عبد الدايم، الطبعة الثالثة / ١٩٩٣م ، دار الخانكي بالقاهرة للطباعة والنشر .
- النقد الأدبي الحديث. د / محمد غنيمي هلال، ط ٣ / ١٩٦٤، دار مطابع الشعب.

ثانياً : الرسائل و المقالات .

- الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديمًا وحديثًا، محمد منصور أبو راس، رسالة: دكتوراه، قسم القرآن والحديث – أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملايا ماليزيا: ١٤٣١ هـ – ٢٠١١ م .
- دراسات في الأدب واللغة، مجموعة مقالات كتبها أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب – جامعة طنطا ٢٠٠١ م.
- مجلة بحوث كلية الآداب، بحث بعنوان: دلالة صيغة الأمر في قصيدة والضيف أكرمه، د/ نواف عبدالكريم، جامعة البلقاء التطبيقيّة، كلّيّة إربد الجامعيّة .
- مجلة جامعة النّجاح للعلوم الإنسانية، بحث بعنوان: "وصايا الآباء في الشّعر الجاهليّ والإسلامي"، د.فتحي إبراهيم خضر، العدد (١٩)، ٢٠٠٥م .
- مقال" أسلوب التقابل وأثره في بلاغة الخطيب"، شريف عبدالعزيز، عضو الفريق العلمي ، تاريخ النشر١٢ / ١٠ / ٢٠٢٢م، عبر الرابط التالي https://khutabaa.com/ar/article/% .
- النزعة الإنسانية وأبعادها في الأدب العربي د. إنعام الآزاد، أستاذ مساعد اللغة العربية وآدابها، قسم دراسات اللغات الأجنبية، جامعة كرناتاكا المركزية، الهند عبر الرابط التالي https://hilalalhind.com/ تمت الزيارة بتاريخ ٩/٢ /٢٠٢٣م .

فهرس محتويات البحث

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣١٢
٢-	Abstract	٣١٣
٣-	المقدمة	٣١٤
٤-	التمهيد : نبذة عن الشاعر	٣١٨
٥-	مفهوم النزعة الإنسانية	٣٢٢
٦-	المبحث الأول : النزعة الإنسانية في قصيدة وأكرم الضيف رؤية موضوعية	٣٢٥
٧-	إكرام الضيف	٣٢٧
٨-	تقوي الله والوفاء بالنذر	٣٢٨
٩-	التخلي عن المثالب	٣٣٠
١٠-	العفة والإباء والحلم	٣٣٢
١١-	الشجاعة والتصدي للعدو	٣٣٣
١٢-	المبحث الثاني : النزعة الإنسانية في قصيدة وأكرم الضيف رؤية نقدية	٣٣٦
١٣-	التجربة الشعورية	٣٣٧
١٤-	اللغة الشعرية	٣٤٣
١٥-	الصورة الفنية	٣٥٠
١٦-	الموسيقى الشعرية	٣٥٥
١٧-	الخاتمة	٣٦٣
١٨-	فهرس المصادر والمراجع	٣٦٧
١٩-	فهرس محتويات البحث	٣٧١

تم بحمد الله